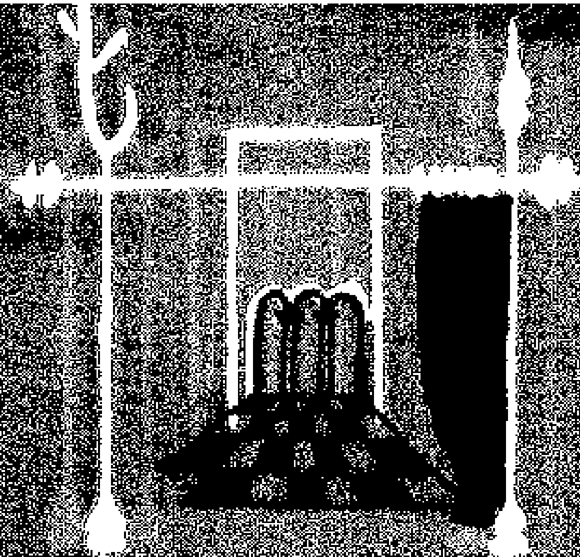


روائع المسرح العالمي
٦٩

إلكترا

الدار المصرية للتأليف والترجمة

روائع المسرح العالمى
٦٩

المسامر

تأليف : جون اوسبورن
ترجمة وتقديم : محمد توفيق مصطفى
مراجعة : يحيى حقى

THE ENTERTAINER
By
JOHN OSBORNE

الدار المصرية للتأليف والترجمة

اهداءات ٢٠٠١
ا.صلاح راتب
القاهرة

مقدمة

ولد جون أو . . رن فى لندن فى الثـانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٢٩ لأبوين من الطبقة العـاملة هما توماس جودفرى أوسبورن ومارى بور ، وتزوج من نيللى بياتريس .

وتلقى أوسبورن قسطه من التعليم العام فى مدارس الشعب دون أن تتيح له ظروفه الخاصة ما قد يتاح لأمثاله اليوم من فرص التعليم العالى فى الجامعات .

وحاول فى مستهل حياته العامة أن يشتغل بالصحافة ولكنه لم يلبث أن تحول عنها الى المسرح حيث بدأ العمل ممثلا متواضعا فى احدى فرق الأقاليم ، وكان ظهوره على المسرح أول مرة فى شهر مارس سـنة ١٩٤٨ حيث قام بدور مستر براسلز فى مسرحيـة « لا توجد غرفة خالية فى الفندق » على مسرح الامباير فى مدينة شـيفيلد .

وفى شهر مايو سنة ١٩٥٦ ظهر أوسبورن للمرة الأولى أمام جمهور لندن على مسرح الرويال كورت (البلاط الملكى) ليلعب دور أنطونيو فى مسرحيـة « دون جوان » ، ثم دور ليونيل فى مسرحية « موت الشيطان » مع فرقة المسرح الانجليزى .

غير أنه فى اليوم الثامن من ذلك الشهر على وجه التحـديد قدمت هذه الفرقة مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » لجون أوسبورن ، فكان ذلك الحدث مولد ثورة عارمة اجتاحت المسرح البريطانى فى جميع الاتجاهات .

* * *

ومثل سائر الثورات لم تكن ثورة المسرح البريطانى نتيجة مصادفة مفاجئة أو حادث عارض ، فقد سبقتها نذروارهاصات فى المحيط الخاص للمسرح وفى المحيط العام للفكر على السواء .

ففى محيط المسرح الخاص كانت سـنوات ما بعد الحـرب العالمية الثانيـة حتى منتصف الخمسينات سنوات جدباء اضطر المسرح الانجليزى خلالها الى استيراد معظم بضاعته من انتـاج الكتاب الأوروبيين بل والأمريكيين ، والاعتماد فى أغلب ماقدمه بعد ذلك على احياء تراثه القديم .

ومن هنا نشأت فى أذهان بعض قادة الحركة المسرحية فكرة انشاء فرقة جديدة تعتمد على مجموعة من الكتاب الشبان الذين لم يتجاوز سن الأربعين ، ممن تستهويهم الكتابة للمسرح لو أزيلت من طريقهم معوقات المديرين التجـاريين والممولين الذين لا يفكرون الا فى الأسماء اللامعة حرصا على ايرادات الشباك .

وبعد مفاوضات طويلة حول مشروعات مختلفة تحطمت على

صخرة التمويل ، استطاع جورج ديفين فى أوائل سنة ١٩٥٦ أن يشكل فرقة المسرح الانجليزى ، وأن يستأجر لها دار مسرح الرويال كورت بعقد طويل الأمد ، مدته أربعة وثلاثون عاما .

وهكذا ولدت فرقة كتاب الطليعة .

أما فى المحيط الفكرى البريطانى العام فقد كانت سنة ١٩٥٦ سنة تدخل الحكومة فى ثورة المجر ثم فى حملة السويس ، هذا التدخل الذى لم تجن منه بريطانيا غير العار والمذلة وسقوط الهيبة فى كافة المحافل الدولية ، ولم يعقب فى نفوس الشعب البريطانى غير السخط والمرارة والغليان ، وبخاصة فى محيط الشباب فى الجامعات وأوساط المثقفين بعامة . فاختفت لغة المداورة والتحفظ . واستبدت بالكتاب والمفكرين نزعات السخط والغضب ، وشرعت الألسنة والأقلام تجرى فى الكيان البريطانى كله أكبر عملية تشريحية تعرض لها فى العصر الحديث ، تناولت من الناحية السياسية جسد الامبراطورية المتهالك المنهار ، ونفذت من الناحية الاجتماعية الى بؤر الانحلال واليأس والبؤس الذى أصاب سواد شعب الانجليز نتيجة سقوط الامبريالية وارتداد ادعياء « احكمى يابريطانيا » — مهزومين مثخنين بالجراح — الى صخرتهم الناتئة فى ملح البحار فيما بين المانش والأطلسى ؛ ونشيدهم الجديد — كما كتبه أوسبورن :

« أيتها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم

دعيني أخبىء نفسي فيك »

في هذا الجو العاصف كتب أوسبورن — وقدم المسرح الانجليزي — مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » ، وهي صيحة السخط والغضب على المجتمع البريطاني ومن أجله ، ثم مسرحية « المسامر » التي بين يدي القارىء ، وهي صيحة السخط والغضب على الامبراطورية البريطانية المنهارة ومن أجلها .

ويعتبر أوسبورن بهاتين المسرحيتين رائد الكتاب الساخطين من شباب مسرح الطليعة ، وأول كاتب درامي استطاع بجرأته وفكره أن يقحم المسرحية الحديثة على المسرح الانجليزي بما يشبه الصدمة المزلزلة . بل ان السينما بدورها تلقفت المسرحيتين وأخرجت كلا منهما في فيلم اضطلع بالبطولة فيه نجوم عالميون .

ولقد كان عرض مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » نقطة تحول في تيار التأليف في انجلترا بصفة عامة ، فقد كان أوسبورن في السادسة والعشرين من عمره ، وحظيت مسرحيته بنجاح ساحق لدى الناقدين ولدى النظارة جميعا ، فكان هذا حافزا لطائفة كبرى من الشباب على الكتابة للمسرح بعد أن كان اتجاههم الغالب الى القصة وغيرها من قوالب التعبير ، وصاحب هذا التحول ظاهرة غريبة هي أن هؤلاء الكتاب الشبان وجدوا الفرق التي تخرج لهم انتاجهم ، ثم وجدوا الجمهور الذي يقبل على مشاهدته .

ولعل الظاهرة الأغرب في تاريخ المسرح البريطاني هي أن

هؤلاء الكتاب الوافدين الجدد معظمهم من أبناء الطبقة العاملة . فقد ظل مسرح الحى الغربى فى لندن (الحى الأرقى فى المدينة) سنوات وسنوات وقفا على الطبقة الوسطى ، كتاب من الطبقة الوسطى — ممن أكملوا تعليمهم الجامعى على الأغلب — يكتبون لجمهور من الطبقة الوسطى . أما بعد أوسبورن فقد انهار هذا الحاجز ، وظهر الى جانبه من كبار كتاب المسرح الآن أووين وكليف اكستون وهارولد بنتر وغيرهم ممن شقوا طريقهم من صفوف العامة دون تعليم جامعى ، بعد سنوات من العمل كممثلين عاديين .

ولئن كان هذا هو الأثر المباشر لأوسبورن فى محيط المسرح الانجليزى ، فقد كان له فيه أثر آخر غير مباشر لا يقل عنه استحقاقا للتسجيل : فقد بدأت فرقة المسرح الانجليزى نشاطها بتقديم مسرحيتين لآنجوس ويلسون وآرثر ميلر ، وكانت المسرحية الثالثة هى مسرحية أوسبورن « انظر الى الوراء غاضبا » ، ولم يحل أول الخريف حتى كانت خسائر الفرقة قد بلغت نحو ١٢,٠٠٠ جنيه استرلينى ، ومن ثم عرضت مسرحية أوسبورن ثمانية أسابيع متوالية فكان ايرادها لا يزيد على النفقات الا بقليل. وفى بدء الأسبوع التاسع عرضت المسرحية على شاشة التليفزيون فقفزت ايرادات المسرح من ٩٥٠ جنيها فى الأسبوع الى نحو ١٣٠٠ جنيه فى الأسبوع التالى ثم الى ١٧٠٠ فى الأسبوع الذى بعده . وبالاختصار فقد حصلت الفرقة من هذه المسرحية ومن

مسرحية أوسبورن الثانية « المسامر » فى خلال السنوات الخمس الأولى من حياتها على أرباح صافية قدرها٥٠٠٠٠٠جنيه استرلينى. (تدخل ضمنها ايرادات السينما والتليفزيون وحقوق الأداء الخ) .

وهذه الأرباح التى يرجع الفضل فيها لمسرحيتى أوسبورن هى التى مكنت الفرقة من تقديم المسرحيات الأخرى ذات القيمة الفنية التى قد لا يتاح لها مثل ذلك الحظ من النجاح التجارى .

* * *

وقد كتب أوسبورن قبل هاتين المسرحيتين اللتين عرضتا فى العاصمة عددا من المسرحيات التى لم تكن نشرت أو عرضت هناك حتى ذلك الحين ، مثل مسرحية « جسلة تذكارية على قبر جورج ديلون » التى كتبهـا بالاشتراك مع آنتونى كريتون ، ومسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . كما كان له مسرحيتان عرضتا خارج لندن ، الأولى مسرحية « الشيطان المستقر فى جسده » التى كتبها بالاشتراك مع ستلا ليندن ومثلت فى هادرسفيلد سنة ١٩٥٠ ثم أعيد تمثيلها على مسرح اليمبرولك فى كرويدون سنة ١٩٦٢ باسم « دعوة الى الحب من روبرت أووين » وهى تدور حول شاب من احدى قرى ويلز يظن به مواطنوه الغفلة ، بينما يرميه أفراد أسرته بجنون الجنس ، ولكن طالب طب وافد على القرية يكتشف فيه مواهب أصيلة . غير أن الشاب لا يلبث أن يرتكب جريمة قتل فتاة من بنات القرية حين حاولت أن تنسب اليه طفلا حملت به فى سفاح .

والثانية وهى مسرحيــة « العـــدو الشخصى » التى كتبهـا بالاشتراك مع أنتونى كريتون ومثلت فى هاروجيت سنة ١٩٥٥ ، تعرض موقف أحد الجنود ممن وقعوا فى الأسر فى حرب كوريا ثم أفرج عنه ، حين رفض العودة الى الوطن ، وما أثاره موقفـه هذا بين أهله وأصدقائه من انفعالات وتعليقات . ومما هو جدير بالذكر ان الرقابة تناولت بالحذف أجزاء كبيرة من هذه المسرحية عند عرضها ، منها فصـــل كامل عن الشذوذ الجنسى فى محيط المحاربين .



غير أن مسرحية « انظر الى الوراء غاضـــبا » هى التى رفعت أوسبورن الى مصاف الشهرة وجعلته بحق رائد المسرحية الحديثة، وأثارت من الضجة ما اعتبرت به ـــ كما قدمنا ـــ ثورة فى تاريخ المسرح الانجليزى . ولذا فان من حق القارىء علينا أن نقف به قليلا عند هذه المسرحية متسائلين عما فيها من خصائص أضفت عليها هذه الصفات

فأما من حيث الشكل فليس فى المسرحية جديد يدعو الى كل هذه الضجة ، نعم انهـــا متينة البناء ، متناســـقة مواقف الصعود والهبوط ، محكمة التوقيت ، الا أنهـــا لا تخرج فى جملتهـــا عن النمط التقليدى للمسرح الواقعى .

واذن فالمضــــمون ـــ لا الشــــكل ـــ هو الذى أكسب هـــذه المسرحية وصفها الحديث وخرج بها عن نطاق المسرح التقليدى ،

ونريد بالمضمون هنا الشخصيات التى عرضتها واللغة التى ترجمت بها هذه الشخصيات عن أنفسها . فبطل المسرحية « چيمى پورتر » انما يمثل جيلا كاملا ، هو جيل ما بعد الحرب الذى اصطلى بويلاتها وعاش عقابيلها ، ثم تطلع الى الخلاص والفرج على يد حكومة العمال التى جاء بها فى سنة ١٩٤٥ ، ولكنه منى بخيبة الأمل حين فشلت تلك الحكومة فى تحقيق شيء من أمانيه ، وغدا بعد ذلك جيلا ساخطا متمردا يستهويه التحلل من أى قيد ومن كل قيد .

وچيمى من ذلك الطراز الميال الى الحاق الأذى بالنفس ، يبدو مستوحشا منعزلا عن العالم فى منفاه الذى اختاره لنفسه ، يستمد القوة من مواطن ضعفه ، ويستقى البهجة من معين بؤسه وحرمانه . ونحن نعلم من سياق المسرحية أنه حاصل على درجة جامعية ، وانه شديد الغرور بعلمه وثقافته ، لا يقرأ الا كتب التراث العميقة ولا يستمع الا لموسيقى الجاز الأصيلة ، ولا يطالع الا صحف الأحد الأنيقة ، غير أنه يعيش فى مسكن حقير فوق سطح أحد منازل حى كئيب ، ويكسب عيشه من بيع الحلوى فى (كشك) صغير فى سوق المدينة . كل شيء فى حياته باعث على السخط والشكوى ، فهما الطابع اللازم فى كل ما يصدر عنه من حديث .

على أن الضحية الأولى لكل هذا انما هى زوجته أليسون التى يكن لها حقدا دفينا بسبب انتمائها الى أسرة من سراة الطبقة

الوسطى ، فهو يداوم على تعذيبها وايلامها ليخضعها ويذلها عند قدميه . غير أنها ، وقد علمت أن خير وسيلة للدفاع عن نفسها هى اصطناع الهدوء وعدم الاكتراث ، تأبى ما استطاعت أن تستجيب لنزعته .

ويمضى الزوجان فى هذه الحرب على مرأى من كليف الذى يشاركهما مسكنهما العجيب ، ويشهد بعين العطف مبلغ افتيات جيمى على زوجته ؛ ولكنه لا يستطيع أن يحدث أثرا فى عيشتهما المعقدة .

ثم تظهر شخصية رابعة هى هيلينا ، وهى ممثلة من صديقات أليسون ، قوية الشخصية شديدة التعالى ، تهبط ضيفة على البيت ، فيشتد تأزم الأمور لمجرد حضورها ، وتزداد ثورات جيمى على اليسون عنفا ، فتشير عليها هيلينا أن تغادر البيت وتلجأ الى منزل أسرتها ، فتخرج هذه وهى تحمل فى أحشائها جنينا لم تجد الفرصة لاخبار زوجها بحلوله . ولكن هيلينا لا تلبث — فى نهاية الفصل الثانى — أن تقع بين ذراعى جيمى .

ويرتفع الستار فى الفصل الثالث عن جيمى وقد استقر على معاشرة هيلينا واستراحت نفسه اليها ، ما دام لا يلتزم أمامها بشىء ، ولا تربطه بها الا شهوة البدن . وعندما يعلن كليف لجيمى رغبته فى ترك البيت والبحث عن مسكن آخر يجيبه هذا بقوله :

« انه لأمر عجيب . لقد كنت على الدوام مخلصا كريما وصديقا

وفيا ، ولكننى على أتم الاستعداد لأن أراك تمضى باحثا عن مسكن جديد تستقل فيه بنفسك ، كل هذا من أجل شىء أريده من هذه الفتاة ، شىء أعلم من صميم قلبى انها لا تستطيع اعطاءه . انك تساوى عشرين هيلينا فى نظرى أو نظر أى انسان ، ولو كنت مكانى لفعلت نفس الشىء ..... لماذا ، لماذا نترك هؤلاء النساء يستنزفن دماءنا حتى الموت ؟ أما تلقيت قط خطابا مختوما عليه عبارة « كن كريما وتبرع بدمك » ؟ ان مدير عام هيئة البريد انما يفعل هذا لحساب كل نساء العالم . فى اعتقادى أن أبناء جيلنا لم يعودوا قادرين على أن يموتوا فى سبيل قضايا سامية ، فقد فعل غيرنا هذا نيابة عنا جميعا فى الثلاثينيات والأربعينيات حين كنا ما نزال صبية ، ولم تبق أى قضية تتسم بالسمو أو الشجاعة . ولو أن الواقعة الكبرى وقعت فقضى علينا جميعا فلن يكون ذلك فى سبيل الهدف الرفيع الأسبق ، وانما يكون فى سبيل الجرىء الجديد من لا شىء شكرا لك ، مما لا هدف وراءه ولا مجد فيه كالقاء الانسان بنفسه تحت عجلات الأوتوبيس . لا لم يبق لنا شىء يا ولدى سوى أن نسلم أنفسنا للنساء ليذبحننا » .

وتعود أليسون الى البيت وقد فقدت طفلها . وحين تحاول هيلينا أن تخرج نفسها من الورطة المؤلمة التى تردت فيها يقول لها جيمى :

« لا خـير فى أن تحاولى مخادعة نفسك فى شأن الحب فانك لا تستطيعين أن تقعى فيه كأمر هين دون أن تلطخى يديك ، انه يستغرق العضـلات والأحشـاء . واذا كنت لا تحتملين فكرة تلويث روحك الطاهرة فخير لك أن تتخلى عن فكرة الحياة كلها وتتحولى الى قديسة لأنك لن تستطيعى أن تعيشيها كما يعيشها الآدميون . فاما هذه الدنيا واما الآخرة » .

ثم يتجه الى أليسون ويقول لها :

« أكنت حقا على خطأ حين اعتقدت أن هناك نوعا من رجولة العقل والروح المتوقدة التى تبحث عن شىء يضارعها فى القوة . ان أثقل المخلوقات وأقواها فى هذا العالم تلوح أشدها وحدة ، كمثل الدب العجوز الذى يستهدى بأنفاسه ذاتها فى ظلام الغابة ، حيث لا أسرة تدفئه ولا قطيع يؤنسه . والصـوت الذى يبكى ليس لزاما أن يكون صادرا عن ضعيف » .

وحينذاك تفصح أليسون عن نفسها لأول مرة :

« لقد كنت مخطئة ... أنا لا أريد أن أكون محايدة ، ولا أريد أن أكون قديسـة . أريد أن أكون قضـية خاسرة ، أريد أن أكون موصومة تافهة . ألا تفهمنى ؟ لقـد ذهب . لقـد ذهب . هذا الكائن الآدمى الذى لا حـول له فى أحشائى . كنت أظنه آمنا مطمئنا هناك . ما كان شىء يستطيع انتزاعه منى . كان ملكا

لى وديعة بين يدى ولكنه ضـــاع . كان قصارى ما أرجوه أن أموت . ما عرفت حقيقة هذا الأمر من قبل أبدا ، وما كنت أعرف أنه يمكن أن يكون كذلك ، كل مااستطعت أن أفكر فيه وأنا فى غمرة الألم هـــو أنت وذلك الذى فقـــدته . قلت لنفسى آه لو استطاع أن يرانى الآن وأنا أشد ما أكون غباء وكآبة واستثارة للسخرية ، فهذا ما كان يتمنى لى أن استشعره . هذا ما يريد أن يعوم فيه ويسبح . انى لفى النار ، وانى أحترق ، وكل مايريده: أن أموت . لقد كلفه ذلك حياة طفله وأى أطفال غيره ممن عساى كنت ولدتهم . ولكن ما أهمية ذلك ــ هذا ما كان يريده منى . ألا ترى ؟ لقد أصبحت فى الوحل منكبة على وجهى أتمرغ فيه . أوه ، يا الهى ... »

وعندما يشعر چيمى آخر الأمر بما صنعت يداه ينهار ويمد يديه فيرفع زوجته المتهالكة عند قدميه ويضمها الى صدره متوســـلا اليها أن تكف عن البكاء ، مبشرا لهـــا بحياة زوجية مقبلة لهـــا حلاوة الشهد .

وقد أودع أوسبورن حوار المسرحية صيحات ســـخطه ونقده المرير لكل ما حوله من وجوه الحياة البريطانية وأحداثها . وهذه الصيحات هى بحق صميم الجرىء الجديد فى مسرحيته .

فقد أصبحت انجلترا فى نظره ــ وانه لمنصف صـــادق يتكلم بلسان الناس جميعا فى أركان العالم الأربعة ــ أصبحت انجلترا

بسياستها الخرقاء وطنا ضائعا مهلهلا يحـار المواطن الانجليزى كيف يخلص له الولاء : « اعتقد أن الناس من أمثالى لا يفترض أن يكونوا على قدر كبير من الوطنية ... فنحن نستورد طبيخنا من باريس ، وسياستنا من موسكو ،وأخلاقنا من بورسعيد »

وأصبح من المسلم به عنده أن انجلترا قـد غدت مستعمرة أمريكية من حيث المكان والزمان جميعا : « ان من أكبر دواعى الضيق أن تعيش فى العصر الأمريكى ، ما لم تكن أمريكيا طبعا ». لا بل أن الاستعمار الأمريكى يقتحـم على الانجليز مخادعهـم ويفتك بأعراضهم : « لعل كل أطفالنا سيكونون أمريكيين » .

وحتى رجال الدين عنده قـد أصـيبوا باللوثة التى أصابت السياسيين ، فهاهو أحـد كبار الأحبار « يوجـه نداء قويا يهز المشاعر الى سائر المسيحيين ليبـذلوا كل ما يستطيعون للمعاونة فى صنع القنبلة الذرية » .

وهو يسخر من أبناء الجيـل المـاضى الذين يعيشون فى عالم اليوم بعقلية جامدة لم تحررها صدمات الواقع . فهـذا الكاتب « مثـله كمثـل أبى ، ما زال يتطلـع الى الوراء يرقب العصر الادواردى بنظرات حالمة » . وهـذا الضابط السابق فى الكتيبة الادواردية السابقة ـــ أبو أليسون ـــ يعود من الهند بعد سنوات طوال من الدعة والفخفخة ، بعد أيام الصيف المشمسة ودواوين الشعر ووسائد الحرير وكل صور الحياة الرومانسية التىضاعت

بلا رجعة . ان أوسبورن نادم على كل هذا نيابة عنه ، « واذا لم يكن لك دنياك الخاصة ، فان من دواعى السعادة أن تندم على دنيا شخص آخر ولت وانقضت » . وهـــو يصفه بأنه « عجوز مسكين .... ليس الا واحدا من تلك النباتات المتعطشة المتخلفة من متاهات العهد الادواردى ، والتى تأبى أن تفهم لمـــاذا توقفت الشمس عن الطلوع » .

لا بل ان « أمثال هؤلاء موجودون فى الحقيقة فى كل مكان يزحمونه بحيث لا تستطيع أن تتحرك بينهم . انهـــم فئـــة حالمة يقضـــون معظم وقتهم متطلعين الى المـــاضى عسى أن يعـــود ، والمكان الوحيد الذين يستطيعون أن يروا فيه النور هو العصور المظلمة » . لقد اعتكف كل منهم « منـــذ زمان طويل فى كوخ نفسى جميل منقطع الصلة تماما بمشاكل القرن العشرين الكالحة».

وكذلك يسخر أوسبورن من طبقة السياسيين الذين يتوارثون التفاهة وخواء الرؤوس خلفا عن سلف . « انك لم تسمع أبدا بمثل هذا العدد الهائل من التافهين الذين أحسنت تربيتهم يخرج من تحت قبعة واحدة » . ان هذا الشاب العادى الفارغ الرأس « سينتهى به الأمر الى تقلد الوزارة يوما ما . هذا مما لا شك فيه ... ان معلوماته عن الحياة وعن أفراد البشر العاديين سطحية الى حد أنه يستأهل ان يمنح نوعا من الوسام مكتوبا عليه « من أجل السطحية فى الميدان » ... والى هذا فهو وطنى وانجليزى ،

وهو يرفض الرأى القائل بأنه وأمثـاله كانوا يتاجرون بأرواح مواطنيهم كل هذه السنين » .

* * *

ولقد كان من رأى بعض النقاد أن « انظر الى الوراء غاضبا » مسرحية مرتبكة مشوشة ، سواء فيما يريد المؤلف أن يقوله فيها ، أو فى الطريقة التى يقولها بهـا . ولـكن البعض الآخر رأوا أن لا أهمية لمثل هذا الاعتراض ، فالمسرحية تدور حول الأشخاص ، وليست تدور حول الأفكار بالضرورة . وليس المهم أن أوسبورن مثل لنا چيمى كمجموعة من المتناقضات ـ كما هو حال معظمنا ـ بل المهم أنه استطاع أن يجمع كل هـذه المتناقضات فى تشخيص درامى مقبول لانسان معقد جعل منه نقطة التقاء لأفكار كثير من الناس من أبناء جيل ما بعد الحرب ، ممن أحسوا بأن عالم اليوم يرفض أن يساير أهواءهم .

على أن الذى أخذ على أوسبورن بحق أنه يولى أبطاله من الرعاية ما يجعله يهبط بكافة الشخصيات الأخرى التى حولهم . فهو لا يضع أمام البطل غريما قوى الشخصية فتخرج التأثيرات الدرامية من الاحتكاك والتصارع بينهمـا . بل انه يعتمـد فى الاثارة ، أغلب ما يعتمد ، على الحوار المتدفق الذى يشد سمع المتفرجين .

غير أنه فى مسرحية « جملة تذكارية على قبر چورج ديلون » وضع بازاء البطل الشاب الغاضب شـخصية أخرى لا تقل عنه

قوة ، بل انهـا تلقى ظلال الشك على قوته واعتباره فى نهـاية المسرحيـة . ولعل هـذا هو أثر اشـتراك أنتونى كريتون مع أوسبورن فى كتابة هذه المسرحية .

وچورچ ـ بطل المسرحيـة ـ ممثل وكاتب . وهـو يحاول استغلال أفراد أسرة اليوت ، وهى أسرة ميسورة الحال ساذجة تعيش فى أطراف لندن . ومع أن رب الأسرة لا يأبه لچورچ فان هذا الأخير ينفذ الى أغراضه عن طريق الأم ـ لأنه يذكرها بابنها المتوفى ، وعن طريق چوزى الأبنة الغبية الجامدة .

ويعتبر چورچ من الفاشلين وان كان يعلل نفسه وسامعيه دائما بأنه فى انتظار النجاح ، وهو بطل أوسبورنى نموذجى من حيث تميزه بالسخط والقلق والاندفاع الى مهاجمة كل ما حوله دون هدف واضح . ويجد چورچ فى روث ـ أخت مستر اليوت ـ ذات المبادىء اليسارية ، شخصية تشبهه فى كثير من النواحى ، فهى شيوعية سابقة انفصلت فجأة عن الحزب بعد سـبعة عشر عاما من الانتماء الناشط اليه ، ثم انفصلت بعد ذلك عن خطيبها بعد علاقة دامت ست سنوات لانها اكتشفت ان ارتباطهما لم يقم الا على أساس أكاذيب تافهة ملفقة . وهى مثل چورچ غير واثقة من نفسها أو دنياها ، وهى غير راضية عن الوضع الذى استقرت فيه ، ولكنها لا تميل لتغييره .

وفى لقاء عاصف بينهما ، يبدأ غزلا عاطفيا ولكنه يتحول فجأة

الى صدام عنيف . يفضح كل منهما خبيئة نفس صاحبه ، ويسلم چورج علانيـــة بأنه انما يعيش على طائفـــة من الأوهام ، وانه لا يعرف لنفسه فى الحق أى مقدرة أو موهبة . وبعد رحلة طوافة فى الأقاليم يجمع فيها بعض المـــال ، يتزوج من چوزى ويعيش معها عيشـــة ريفية وهو واثق فى صميم نفسه من أن كلتيهما ، الزوجة والعيشة ، ليست على شىء من حقيقة ما يهواه .

ويعتبر النقاد أن هذه المسرحية بما فيهـــا من التوازن ، ومن النفـــاذ الى أعماق الشخصيات والاحاطة بأبعادها دون اخـــلال بحرارة الحوار وقوته ، تعد أكمل أعمال أوسبورن المسرحية .

ويعترف أوسبورن صراحة بتأثره فيهـــا بأعمال بريخت التى ألقت فى نفسه شعاعا من النور أعانه على تعرف حدود الواقعية ، والتحرر من قيودها .

ومن أجل هذا كان تأثير بريخت واضحا فى مسرحيته التاليـــة ــ المسامر ــ فى عدد من المواضع .

ونؤجل الآن الكلام عن مسرحيـــة المسامر ريثما نلقى نظرة متكاملة على بقية أعمال أوسبورن التى تلتها . فقد كتب بعدها مباشرة مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » التى وصفها بأنها كوميديا أخلاقية موسيقية ، والتى يرى عامة النقاد ــ وبحق ــ أنها أكثر مسرحياته فشلا ، خصوصا وأنها ظهرت عقب «المسامر» فجاءت ، بالمقارنة الى هذه الأخيرة ، مخيبة لأمل جمهور أوسبورن .

الذى كان يترقب منه عملا آخر بارعا . والظاهر أن هذه المسرحية كتبت قبـل « أنظر الى الوراء غاضـبا » ، وكانت أول محاولة لأوسبورن فى مجال لا يصلح له البتة ، ألا وهو مجال النقـد الساخر لرذائل المجتمع . نعم ان أكثر عبارات أوسبورن اشراقا فى مسرحياته غالبا ما تنطوى على نقدات اجتماعيـة ، ولكننا لو تأملناها عن قريب لوجدنا أن النقد الذى تضمنته لا يرتكز على دراسة موضوعية عميقة ، وانما هو نقد شخصى مرتبط بالذات التى يجرى على لسانها .

فالنقد الاجتماعى يستوجب قبل كل شىء قسطا من الموضوعية، بحيث يستقصى الناقد أبعاد مواطن الضعف فى موضوعه ثم يتجه اليها فى هجوم مباشر ، مستبدلا اظهار السخط والغضب بسلاح الكشف والتعرية والتهكم المدروس ، الأمر الذى كان أوسبورن أبعد ما يكون عنه فى مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . فقد هاجم فيها كل شىء كبر أو صغر بنفس الدرجة من التوقد والعنف ، فتهزأ من الكنيسة ، ومن الطبقة الارستقراطية ، ومن الصحف المنحطـة ، ومن هؤلاء النساء المـذكرات والرجـال المؤنثين ، ومن فساد ذوق المراهقين فى الموسيقى ، ومن عاطفيـة المجـلات النسوية ، ومن مشجعى الرياضات الدموية العنيفـة والعقوبات البدنية ، ومن المناهضين للسامية والتفرقة العنصرية وصنع القنبلة الذرية ، ومن كل شىء آخر يجد فيه شباب الجيل

الساخطون موضعا لسخطهم ، حتى ليصدق على أوسبورن ق. هذا ما قاله هو نفسه فى مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » عن چيمى بطل المسرحية ، من أن مجاهرته بالسخط على أى شىء وعلى كل شىء ، دليل على أنه انسان لا يعوّل عليه .

والواقع أنه لا يمكن أخذ أوسبورن على محمل الجد فى كثير من مواضع النقد التى استهدفها فى مسرحية « بول سليكى » ، وهو صحفى ينقل أحاديث المجالس ويهاجم أصحاب الشهرة ، أراد أوسبورن أن يجعل منه البطل الشرير فى المسرحية ، ولكنه لا يلبث أن يظهره كارها لعمله ، يتردد أحيانا بين الشك والضيق، ويرى نفسه ضحية الآلة التى يديرها قبل أن يكون محركها ، ثم يرفع عنه اللوم موجها اياه الى فئة غير محدودة ولامعروفة ، هى التى أجبرته على أن يختط فى حياته ذلك الطريق المنكود !!

ومثل هذا ، الأب ايفلجرين ، ذلك القسيس الذى يصوره لنا كالح الوجه مفسدا لا يلقى الا العظات الساخرة ، ويصب عليه أعنف النقد ، ثم لا يلبث أن يرينا انه انما كان قسيسا زائفا ينتحل رداء الكهنوت وهو ليس من رجاله على الاطلاق . واذا بالحملة العنيفة التى يتوهم المرء أنها موجهة ضد الدين أو رجاله تسفر عن « حملة سلام » ضد مقلدى رجال الدين ومنتحلى ثيابهم !!

وكذلك حملته على الطبقة الارستقراطية التى يظن القارىء

أنها من أهداف المسرحية الأولى ، حين يقدم لنا اللورد والليدى مورتليك رمزا لتلك الطبقة بامتيازاتها الجائرة وتقاليدها البالية ، ولكنه لا يلبث أن يجعلهما أحب شخصيات المسرحية وأولاهـا بالعطف ، حيث يخلع عليهما الرقة ودقة الحس والهيبة ، ويرينـا أن لا عيب فيهما وانما العيب فى العالم المجنون المتلبد الذى وجدا نفسيهما فيه !!

أما قصة المسرحية فتـدور حول طائفـة من النساء والرجال ــ على رأسها بول سـليكى وزوجته ابنـة اللورد مورتليك ــ يتواضعون على تبادل العلاقات الجنسية غـير المشروعة ، وعلى أن لا وسيلة للتخلص من ملل الحياة الزوجيـة الا بتغيير رفيق الجنس .

وتتضمن المسرحية أربع عشرة أغنية يصدق عليها ما يصـدق على أغانى مسرحية المسامر من أن الرواية الشعرية ليست الميدان الذى يستطيع أوسبورن أن يبرز فيه .

* * *

وقد كتب أوسبورن للتليفزيون مسرحية وحيدة عنوانهـا : « موضوع فضيحة واهتمام » قدمتها هيئة الاذاعة البريطانية . وتتناول المسرحية حادثا تاريخيا هو محاكمـة جورج هوليوك ، وهو آخر رجل حكم عليـه بالسجن فى بريطانيا بتهمة الالحـاد سنة ١٨٤٢ لأنه صرح فى اجتماع عام بأنه لا يعتقد بوجود الله .

والمسرحية تصوير دقيق لوقائع المحاكمة كما استقاها أوسبورن من الوثائق التاريخية ، وهى ترينا كيف أن جورج تولى الدفاع عن نفسه بنفسه رغم ما هو مصاب به من عاهة فى النطق ، ورغم جهلة التـام بالقانون . كما ترينا أن هذا الرجل بدأ وانتهى لغزا صامتا لم تواته فصاحة اللسان الا مرة واحدة حين وقف بين يدى قضاته يدافع عن عقيدته الالحادية .

والطريقة التى كتبت بها هذه المسرحية تستحق الملاحظة . فقد اعتمد أوسبورن فيها على أسلوب الرواية ، حيث يظهر الراوية فى البداية ، ثم كل فترة ، ليخبر المشاهدين بما سيرونه من الوقائع، مع التعليق عليها فى بعض الأحيان .

وعلى سبيل المثال تبدأ المسرحية بالراوية يقول للمشـاهدين : « مساء الخير » أنا محام . لا أهمية لذكر اسـمى لأنه ليست لى علاقة مباشرة بما أنتم مقبلون على مشاهدته . وما أقدمه اليكم هو مجرد سمر ، فليس هناك ما يدعو الى أن تكفوا عمـا أنتم مشتغلون به . والذى توشكون أن تشاهدوه هو رواية صادقة لحادث غامض فى تاريخ وطنى ، أو وطنكم . وكل ما سأفعله هو أن أسد مواضع الفراغ العارضـة ببعض الايضاح الضرورى ، كما يفعل معكم مذيعو التليفزيون فى الواقع . ولن أزعجكم حقا بشىء غير مألوف » .

والواقع أن هذا الأسلوب محطم للمسرحية ، اذ ما تكاد تقف

على قدميها حتى يظهر فى الراوية فيباعد بينها وبين المشاهد، ويحول دون استمتاعه بتتبعها . والظاهر أن أسبورن قد تأثر فى هذه المسرحية بأساليب بريخت ، غير أن استخدامه للرواية ينطوى على فهم سقيم لأفكار بريخت ، فضلا عما فيه من غض لذكاء المشاهدين .

* * *

وبعد هذا كتب أوسبورن مسرحيته التاريخية الثانية « لوثر » واتبع فيها كذلك طريقة السرد التاريخى من واقع الوثائق ، وأجرى على لسان لوثر نفس الألفاظ التى نطق بها فى زمانه كلما استطاع أن يعثر عليها .

وقد أخذ على هذه المسرحية ما أخذ على غيرها من أن أوسبورن لم يحاول أن يجعل التأثير الدرامى نابعا من احتكاك الشخصيات المتكافئة واصطراعها ، بل اعتمد على الأحاديث الفردية (المونولوج) المثيرة . وحتى فى المنظر الذى يحتدم فيه النقاش بين لوثر وكاجيتان — مندوب البابا — نراهما لا يشتبكان أبدا فى المناقشة بحيث يكون كلام أحدهما جوابا على كلام الآخر ، بل يبدو حوارهما (ديالوج) وكأنه حديثان فرديان (مونولوج) جرى المزج بينهما بعناية .

كان من رأى أحد النقاد أن « لوثر » جاءت أعظم دليل مادى على مقدرة أوسبورن فى التأليف المسرحى . غير أن بعضهم لاحظ

أن التجاءه الى استثناء موضوعه من التاريخ فى هذه المسرحيـة وسابقتها : « موضوع فضيحة واهتمام » ، بعد وضوح تفاهة موضوع « عالم بول سليكى » ، لاحظوا أن هـذا قد يوحى بنضوب معين الخيال عند أوسبورن ــ ولو بصفة مؤقتة ــ فيما يتعلق بالقدرة على خلق الشخصيات الجديدة والمواقف الدرامية، واضطراره الى تكرار أشخاص وأحداث سبقت الى الوجود .

على أن مسرحية لوثر صادفت نجاحا شعبيا كبيرا ، وثناء حارا من غالبية النقاد ، الأمر الذى يدل على أن أوسبورن قد استطاع السيطرة على المادة التاريخية ، وصوغها فى مسرحية ، وهى وان لم تبلغ حد الكمال فى بعض التفصيلات فانها كتبت ببراعة اجتذبت جمـاهير المتفرجين ، وأثبتت أن أوســبورن مالك لناصيــة فن التأليف المسرحى .



وفى ســنة ١٩٦٢ قدم مسرح الرويال كورت لأوســبورن مسرحيتين كل منهما ذات فصل واحد تحت عنوان « مسرحيات لانجلترا » . والمسرحيتان هما : « دم آل بامبرج » و « تحت الغطاء العادى » .

وأولى هاتين المسرحيتين هى ــ باتفاق جميع النقاد ــ أضعف ما كتبه أوسبورن . وهى تدور حول حفلة زفاف فى أسرة مالكة تجلس فيها العروس الملكية فى انتظار عريسها الملكى الذى يقتل

فى آخر لحظة فى حادث فى الطريق ، فتضطر الأسرة انقاذا للموقف لأن تحل محله مصورا صحفيا استراليا تصادف أنه يشبه الأمير المتوفى شبها غريبا حتى لكأنهما توأمان . ومع ما يبدو لأول وهلة من الجرأة فى المسرحية ، باعتبارها تهكما على زفاف ملكى ، فان أسبورن ينتهى بها الى اكتشاف أن المصـور الصحفى يجرى فى عروقه دم ملكى يؤهله للزيجة التى أقحم فيها !!

وأما المسرحية الثانيـة فهى تمثـل زوجين — تيم وجينى — يعيشان عيشة عادية من جميع الوجوه فيما عدا هواية غريبـة يمارسانها ، هى تمثيل مواقف خيالية يلبسان لكل منها مايناسبه من الثياب ، تكون السيطرة فيها لأحدهما مرة وللثـانى مره أخرى . فتكون هى ممرضة شـديدة جادة ويكون هو المريض المتألم . أو يكون مخدوما قاسـيا غليظـا وتكون هى خادمة مضطهدة وهكذا ، غير مدخرين شيئا من الحماس والخيـال فى أداء تلك الأدوار . وتكون النتيجـة أن يظل هـذان الزوجان سعيدين فى بيتهما وبين أبنائهما لأنهما يصطنعان نوعا من توازن القوة والضعف ينفسان به عما يفسد حياة غيرهما من الأزواج .

غير أن أوسبورن لا يلبث أن يدخل عليهما ستانلى ، وهـو صحفى فضولى حسود ، فيثبت لهما أنهما — دون أن يعلما — ليسا الا أخا وأخته ، ويفرق بينهمـا ، ويزوج جينى من شخص آخر ، بل ويجعل تيم يحضر حفل زفافها بوصف كونه شقيقها .

ولكن هـذا الزواج لا يدوم ، اذ نرى بعد قليل تيم وجينى قد اجتمعا ، ونرى ستانلى يطرق بابهما ليحدثهمـا ولكنه لا يحظى بجواب .

وتعرض هذه المسرحية فى نصفها الأول موضوعا جديدا ، أو هى على الأقل تعرض موضوعا مطروقا ــ العلاقة الزوجية ــ من زاوية جديدة . وهى الى هنا تعتبر من خير ما كتبه أوسبورن بعد مسرحية « المسامر » ، غير أنها فى جملتها تنبو عن المعقول والمقبول ، اذ يهدم فى نصفها الثانى معظم البناء الدرامى الذى أقامه فى النصف الأول .



نصل الآن الى مسرحية « المسامر » ، وهى ثانى مسرحية لأوسبورن عرضتها فرقة المسرح الانجليزى على مسرح الرويال كورت بلندن ، بعد مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » .

وهى من حيث القالب مسرحية نصف شعرية نصف موسيقية ــ ان صح هذا التعبير ــ حيث تتخللها عشر أغنيات (منهما اثنتان معادتان) يؤدى آرشى بطل المسرحية ثمانيا منهما على المسرح الذى يحترف العمل عليه ، وهو المسرح الذى ينقلنا اليه أوسبورن من موطن أحداث القصة الأصلية للمسرحية (وهو بيت أسرة رايس) كل فترة ، نقلا لا يخلو من الافتعال . وقد قصد أوسبورن بهذا أن يخرج لجمهوره بمسرحية موسيقية فى المقام الأول ، فهو يقول فى ملاحظة له فى صدر المسرحية :

« ان صالة الموسيقى تحتضر فيحتضر معها جزء هام من انجلترا . لقد ضاع جزء من قلب انجلترا ، هو ذلك الشيء الذى كان كل انسان يعتبره ملكا خالصا له ، لأنه كان فنا شعبيا حقا » .

غير أن هذه المحاولة تمت فى الواقع لحساب خلخلة البناء الدرامى للمسرحية ، حيث تبدو الأغانى على الصورة التى وضعت بها حشوا شاذا فى ثنايا هيكلها العام ، وان خفف من شذوذها ان محمولها يتمشى مع المضمون العام للمسرحية ، من اظهار السخط والاشمئزاز على ما طرأ فى دنيا الناس ودنيا المسرح على السواء من مساوىء .

ويقوم بناء المسرحية على سلسلة من المشاهد الواقعية التى تروى قصة آرشى رايس ، وهو ممثل هزلى يدير فرقة استعراضية تعمل فى احدى المدن الساحلية ، وتعتمد على عرض النساء العاريات خلف الستائر الرقيقة ، ولذا فهى تسمى « الوضع العارى ــ أو الوضع المجدد ــ لرقصة الروك آند رول » (انظر النص) .

وتدل شخصية آرشى وتصرفاته على أنه جلف منحل فارغ كالطبل الأجوف ، لايستطيع ــ ولا يريد ــ أن يصل حبله بأى علاقة انسانية نقية سواء مع أفراد أسرته أو سائر الناس .

ففى محيط أسرته نراه يحب أباه « بيلى » ، وهو ممثل متقاعد

من بقايا عصر المسرح الوقور المزدهر ، ولكنه يثير حنقه وسخطه على الدوام بما ينزلق اليه فى عمله من التهريج الرخيص فى « سوق اللحم العارى » ، وما يتورط فيه من مشروعات مسرحية خاسرة تسوقه الى الافلاس وتهدده بالسجن مرة بعد أخرى .

أما بالنسبة لزوجته « فوبيا » فهو مشفق يرثى لحالها ــ وهى الجاهلة الساذجة ــ ولكن هذا لا يمنعه من أن يكون زير نساء تبلغ به الجرأة أن يجلب الفتيات الى البيت ودون حياء أومداراة، وأن يكاشف أبناءه بوقائع تبذله ودنسه . بل انه يريد آخر الأمر أن يطلق زوجته ليتزوج من فتاة فى عمر ابنته ، ليستطيع أن يحصل من والديها على مال ينقذ به نفسه من الافلاس ، لولا أن أباه « بيلى » يسارع الى ابلاغ أسرة الفتاة أنه رجل متزوج له ثلاثة أولاد ، وهو العدد المعترف به شرعا على الأقل .

وابنته الكبرى « جين » فتاة مثقفة ــ على خلاف أخويها ــ ذات ميول يسارية غامضة ، فى خلقها بعض التعالى ، ولذا فان أباها آرشى يعاملها بحذر ومداورة ، ولكنها تحاصره فى النهاية وتمطره وابلا من السخط والتجريح .

أما « فرانك » ولده الكبير فهو شخصية معتلة ، عاطفى خجول ، امتنع من تقديم نفسه للجندية فحوكم وحكم عليه بالسجن ستة شهور قضاها يعمل وقادا فى أحد المستشفيات ، ثم خرج منها محطما بلا عمل ولا أمل .

ويبقى ولده الأصغر « ميـك » الذى نسمع عنه ولا نراه ، وهو الذى يحمل الطرف الآخر من مأساة أسرة « رايس » . ذلك أنه يتقدم للجنـدية بمجرد اسـتدعائه ، ولكنهم لا يلبثون أن يرسلوه للقتال فى معركة غير مفهومة الدوافع فى أرض نائية عن الوطن ، ألا وهى معركة السويس ، وفيما تنتظر الأسرة كلهـا عودته خلال أيام تفـاجأ به يعود مسجى فى أكفـانه ، لقد قتله « الأعداء » .

وحتى هذه المحنة لا تمس آرشى الا لحظـات قلائل يعـود بعدها الى حاله انسانا ميتا لا أمل فى قيامه .

والواقع أن أوسبورن قد اتخذ من أسرة رايس مطية رمزية حملها كافة وجوه اليأس والخذلان التى أصـابت الامبراطورية والشعب الانجليزى بعد سنوات طوال من النصر الظاهرى الذى أصابته انجلترا فى الحرب العالميـة الأخيرة ،سنوات طوالا من الترقب والانتظار لم يجن من ورائها جيل أوسبورن الا الخيبة والمرارة .

وعلى ألسنة أفراد هـذه الأسرة ألقى أوسبورن بكل سخطه وهزئه فى جرأة مذهلة .

* * *

فهو يعرض للناظر « بريتانيـا » ـ وهى الصـورة الرمزية التقليدية للامبراطورية ـ فى شكل فتاة ما تزال تحمل الخوذة

على رأسها والحربة فى يدها ولكنهـا عارية جردت من ثيابهـا ووقفت هناك نهبا للانظار .

وفى احدى أناشيده يقول ــ على لسان آرشى :

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد ... يا انجلترا العجوز الطيبة أنت لى كقدح الشاى ... لا تدعوا مشـاعركم تتوزع ... لأن البريطانيين سيـكونون أحـرارا ... والجيش والبحرية والطيران هى كل مانحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا أنه مازال ملكا لـكم ذلك الأحمـر والأبيض والأزرق (العلم البريطانى) وهذه القطع الحمراء التى مازالت على الخريطة لن تتخلى عنها دون قصاصة من الورق . فما لدينا مما بقى سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم » .

وفى نشيد آخر يقول آرشى :

« عند ما يهدد تراثنا فى الوطن أو عبر البحار ، فان الشباب من أمثالنا ، نعم أنتم وأنا ، هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر . يقول بعض الناس اننا انتهينا ... أصبحنا فى خبر كان ، ولكننا لو وقفنا جميعا الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة ، فان المعركة ستكسب » .

وفى معرض التنـدر بما وصلت اليه بريطانيـا من العـوز واستنزاف الموارد يغنى فرانك أغنية يصفها بأنها « بريطانية جدا ودينية جدا » فيقول :

« بعد ما هتفتم احكمى يا بريطانيـــا ، وبعد ما غنيتم « حفظ الله الملكة » ، وبعد ما انتهيتم من قتـــل كروجر (اشـــارة الى الألمـــان) بأفواهكم ، ألا تتعطفون فتسقطون شـــلنا فى رقى الصغير ، لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب ؟

« انه شحاذ شـــارد اللب كثير مواطن الضعف ... ذاهب الى الخدمة العاملة وقد خلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة .

« خمسة آلاف حصان ورجل تلقت الأمر بالسفر الى خليج تيبل ، كل منهم يؤدى عمل بلاده ، ومن الذى سيرعى الفتاة ؟ »

وأخيرا يعرض أوسبورن وجهة نظر المواطن البريطانى فى تلك السياسة الامبريالية التى ما تزال حكومة بلاده متعلقة بها ، والتى بدأ خرقهـــا أوضح ما يكون فى حرب السويس ، فيقول على لسان جين بعد أن تلقت خبر مقتل أخيها ميك :

« لمـــاذا يموت الأولاد أو يوقدون الغـــلايات ؟ لمـــاذا تقع بنا هذه الأشياء ؟

وما الذى تأمل أن نحصل عليه منها ؟ وفى مساندة ماذا هى كلها ؟ أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟ »

وتقول فوبيا الأم :

« لست أدرى لماذا يرسلون هؤلاء الصبية الى الخارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسو الا صبية صغارا » .

ويروى آرشى واقعة شهدها بنفسه عن جماعة من الملونين رآهم فى (الأوتوبيس) فى طريق عودته الى المنزل فيقول :

« كانوا يتحادثون معا طول الوقت والكل يصغى اليهم . وبمجرد أن قمت لأضغط على الجرس صاحت امرأة : « لقد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » ، فظننت لحظة أنها تقصدنى ، ولهذا استدرت ، ولكنى وجدتها تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها » .

وتعكس جمل الحوار التالية تقدير المواطن الانجليزى لساسة بلاده على اختلاف مشاربهم ، وهى تجرى بين « بيلى » أكثر شخصيات المسرحية وقارا واتزانا وبين حفيدته چين وهو يحدثها عن سيدات زمانه مقارنا اياهن بنساء العصر :

« بيلى — أما الآن فمن المتعذر فى أغلب الأوقات تمييز النساء من الرجال ، خصوصا من الظهر ، بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيدا فى بعض الأحيان .

چين — مثل الحكومة والمعارضة .

بيلى — ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة ؟ لا تكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة الأخرى . مجموعة دنسة من الأوغاد ، يستحقون السجن » .

ويصدر أوسبورن حكمه على حزب المحافظين (التورى) الذى كان يضطلع بالحكم فى حرب السويس ، وقت أن كتبت المسرحية، فيقول على لسان آرشى الذى كان يقص على الأسرة شيئا عن زميل قديم له فى العمل يدعى « روزى » :

« كان روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ... غير أن أقبح كلمة من أربعة حروف فى الانجليزية أو أى لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى » (محافظ) وكان يطلقها على أى شىء بشرط أن يعتقد أنه على درجة كافية من السوء » .

أما موظفو الدولة فيصفهم بيلى ــ الشيخ المحنك ــ بقوله مخاطبا چين :

« لا فائدة من أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس لديهم المقدرة على فعل شىء لأنفسهم » .

وفى أكثر من موضع يندد أسبورن بفداحة الضرائب التى تجبى من المواطن الانجليزى حتى ليتردد ذكر « محصل ضريبة الدخل » كما تتردد أسماء المردة والشياطين . وها هو آرشى يفاجىء أسرته ذات ليلة بأنه يقيم احتفالا « بمناسبة الذكرى العشرين » . فاذا سألوه أى ذكرى هذه قال : « الذكرى العشرين

لعدم دفعي ضريبة الدخل ... انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة ، وانى لأستحق نوعا من الجائزة عليه » .

ويكشف أوسبورن عما أصبح يعانيه سواد الشعب من الضيق واليأس حين يقول على لسان فوبيا : « ... ان حالة العمل سيئة، هذا هو الواقع . ان الناس ليس معهم نقود ... » ثم يقول على لسان فرانك وهو يخاطب أخته :

« تلفتي حولك . هل تستطيعين أن تجدى سببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المريح الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شيئا هنا ياچين. لأنهم لا يسمحون . ما من فرصة أمامك . من أنت ؟ أنت لاشيء، فليس عندك مال ومازلت صغيرة . وعندما تبلغين آخر الشوط من المؤكد جـدا أنك ستظلين لا شيء ، وسـتظلين بلا مال . والفارق الوحيد أنك ستكونين قد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبدئى فى التفكير فى نفسك ياچين لأنه ليس هنـاك من سيقوم عنك بهذه المهمة ... لأنه لم يبق من يؤمن بهـذه الأمور الآن ... قد يقولون انهم يفعلون ، وقد يقتطعون بضع دراهم من أجرك كل أسبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتـك ليقنعوك ، ولكن لا تصدقى فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك ، انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسـط الطريق غير آبهين الى أن يذهبـوا طالمـا أنهـم فى الوسـط الملعون ... أولاد الحرام المتهرئون ... »

ولعل أبلغ عبارات أوسبورن دلالة فى هذا الصدد ما يقوله آرشى :

« ... نحن موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ... نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بها أحد . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شىء يتندر به الناس لأننا أبعد ما نكون عن الحياة العادية للبشر .... لسبب بسيط هو أننا لسنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض ... نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة ... »



هذه بضعة من نظرات أوسبورن فى الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت انجلترا وقت أن كتب مسرحيتيه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » . وهى تصور لنا عالمه الذى يعيش فيه عالما فاسدا منحلا يغشيه البغض واليأس . واذا كان المسرح هو الرمز الحى المتحرك لأى شعب من الشعوب فها هو أوسبورن يقدم لنا صورة هذا الرمز مجسدة فى شخصية آرشى كممثل وفى وصفه آرشى لجمهور الناس كمشاهدين :

« ... انظرى الى هذا الوجه . أنظرى اليه . هـذا الوجـه يسـتطيع أن يتفجـر حـرارة وانسانيـة ، يسـتطيع أن يغنى وأن يحـكى أردأ الحـكايات فى العـالم وأبعدهـا عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخاوية ، دون أى اهتمام ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العينين . اننى ميت ، تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفة التى هناك . لا اهتمـام لأنى لا أشعر بشىء ولا هم يشعرون . كلانا ميت كصاحبه .... »

* * *

وبعد فقد رأينا أوسبورن يحمل علم الجديد فى مسرحيتيه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » حتى بلغ به حد الثورة فى عالم المسرح المعاصر ، ثم رأينا موهبته تتأرجح بين المد والجزر فى مسرحياته الأخرى . غير أنه مايزال حيا يرزق ويكتب ، ولذا فان الوقت لم يحن بعد لاصدار الحكم الأخير عليه ؟

محمد توفيق مصطفى

الشخصيــــات

بيلى رايس	Billy Rice
جين رايس	Jean Rice
آرشى رايس	Archie Rice
فوبيــا رايس	Phoebe Rice
فرانك رايس	Frank Rice
وليم رايس (الأخ بيل)	William Rice (brother Bill)
جراهـــام دود	Graham Dod

الفصـــل الأول

المكان : تقع الحوادث فى موقع ساحلى فسيح . والبيت الذى تقيم فيه أسرة رايس هوواحد من تلك المبانى العالية الكئيبة التى كان يشيّدها ثراة رجال الأعمال فى مطلع القرن ، خمس وعشرون دقيقة فقط بعربة الخيل المفردة حتى مدخله . فى الوقت الحاضر تعـــج عربات الترولى باس مارة بالطريق الأمامى غاصــة بعمال المصانع الصغيرة التى تكاثرت فى أرجاء المكان . هذا جزء من المدينـــة لا يراه طلاب النزهة أبدا ، أو أنهم اذا رأوه يقررون الرجوع الى حدائق النزهة . انهم يركبون القطار ساعتين أو ثلاثا ليتجنبوه . بل انه ليس من المتعين عليهم أن يمروا به فى طريقهم من المحطة المركزية لأنه مدينة قائمة بنفسها لها محطة خاصة فسيحة جداً ألحقت بهــا مساحات كبيرة من حظائر البضائع وأحواش التحويل . وقطارات الخطوط الرئيسية لا تقف هنــاك على أى حال . فهو ليس منطقة سكنية ، ويصعب اعتباره منطقة صناعية . تكثر فيه الأماكن الفضاء القذرة ، والجدران المرتفعة السوداء ، وبه مخزن للغاز ومدخنـــة طويلة ، وطريق رئيسى يعج بالتراب وسيارات النقل . والحوانيت متناثرة على زوايا الأزقة الضيقة ، محل لبيــع الصحف ، وبقالة عموميـــة ودكان للسمك وشرائح البطاطس .

الافتتــــاح

فى خلال فترة الاستراحة تدلى لافتة اعلان

(١)

فى الخلف ستار خفيف (من الشاش) يبدو وراءه جزء من المدينة . وأمامه منصة مرتفعة تؤدى اليها بضع درجات . طوابق بارتفاع الركبة وهيكل باب تقوم مقام جدار . يستعان على عرض المناظر بالستائر المدلاة . حيث تدلى ستائر مختلفة للمناظر المختلفة لتحــديد مساحات الأداء ، وكذلك ســـتائر مرخاة من القماش الأسود أو النسيج السميك . هناك بابان عن يمين ويسار الستار الخلفى . الاضـــاءة من النـــوع الذى تتــوقع رؤيتـــه محليــا . كل شىء يسلط عليــه الضــوء يبــدو واضــحا محددا ، أو مجرد مساحة ضــوئية متحركة . على أنه يجب أن تضاء المناظر أو الفواصــل التى بينهــا كمجرد نقلات بسيطة . الأثاث والركائز بسيطة كما لو كانت معدة لفاصل قصير . على كل من جانبى المسرح مربع تظهــر فيــه أرقام تتــابع المناظر . المشكلات الموجودة هى أساسا نفس المشكلات التى تواجه أى مدير مسرح مقيم عقب الحفلتين الليليتين صباح كل يوم من أيام الاثنين طوال حياته الفنية .

موسيقى : الأحدث ، الأكثر صــخبا ، الأردأ . ســتار أمامى من (الشاش) مرسوم عليه صور كبيرة لفتيات عاريات بأيديهن

مراوح زاهيـــة الألوان وهن يتراقصن فى مرح ، ومكتوب عليه بحروف كبيرة كلمات «الوضع العارى لرقصة الروك آند رول». ومعناها حرفيا رقصة الروك آند رول المجددة . ولكن الكاتب يقصد استغلال كلمة Nude (مجدد) لأنها تلفظ ككلمة New'd (عارى) ...

وراء ستار الشاش الخلفى يكشف الضوء عن رجل كهل يمشى عبر المسرح من اليسار الى اليمين . وعندما يصـــل الى منتصفه يقف وينظر الى أعلى . تسمع صيحات وصراخ . ضـــجة امرأة تحاول الحيلولة بين رجلين ــ لعلهما ابنها وعشيقها . صـــيحات « أوه ، اتركه وشأنه ! لا تفعل هذا ، أرجوك لا تفعل هـــذا ، اتركه وشأنه » . يمشى الى اليمين خارجا من المسرح ثم يعـــود للظهـــور بجانب الستار المتدلى متجهـــا نحو الوســـط . تسمع أصوات ســـقوط وضربات . يقف ثانية ثم يسير . تصرخ المرأة بصوت عال هذه المرة . يقف ثانية ويستدير ثم يصيح مطلا من (الدرابزين) « هـــل يضيركم أن تلتزموا الهـــدوء تحتنا من فضلكم » . ينصت دون استجابة . « هلاّ تفضلتم بالكف عن كل هذا الضجيج ! ! » .

يحاول أن يجعل صـــوته يبدو مترفعا ، ولكن صـــوته قوى فتسكت الضجة لحظة فيومىء برأسه ويبدأ فى التحرك . يصيح

Rock'n Roll New'd Look

صوت « لماذا لا تقفل فمك الواسع الكريه أيها الأحمق المأفون » . صوت بكاء امرأة يقطع آخر الجملة فيتردد الرجل الكهل ثم يستدير وينادى من أعلى الدرج : « هل أنت بخير يا سيدة ... ؟ » . يسمع صوت رجل متعجلا متحمسا . باب يصفق ، وتكتم الضجة ، ويظل البكاء مسموعا ولكن يبدو أن السيطرة على الموقف قد ازدادت . يعود الكهل الى الوسط ويدخل من هيكل البابه .

بيلى رايس رجل أنيق فى السبعينات ، شديد الاعجاب بجسده نتيجة الاعجاب الذى لقيه طول عمره باعتباره « رجلا مليح القوام » . فهو رشيق مستقيم العود ، رياضى . يلتمع بمظاهر العيش الرخى . شعره ، وقد وخطه الشيب ، كثيف ناعم بسبب ترجيله الشديد يوميا ، ولعل ملابسه عمرها ربع قرن ـ بما فيها الحذاء الرسمى المدبب ـ ولكنها أنيقة مكوية بعناية . سلسلة ساعته تلمع . ياقته مثبتة بدبوس تحت الرباط الأسود المحكم العقد . وقبعته السمراء مثبتة على زاوية طفيفة جدا . يتكلم بلهجة مترفعة « ادواردية » ـ خليط من لهجة اكسفورد والعامية ينطق فيها حرف السين بقوة ولكنها مع هذا بعيدة عن أن تبدو تماما كلهجة الطبقة العليا أو كاللهجات القديمة . فهى فى الواقع ليست لهجة طبقة بل لهجة عصر ، مما لا يسمعه الانسان كثيرا فى هذه الأيام .

يرفع الستار الخفيف الأمامى .

يسير الى الوسط فيضع جريدة مطبقة وزجاجتى بيرة وبرقية يلقى عليها نظرة عاجلة . يسير الى الباب الأيمن فى مقدمة المسرح ويدخل منه وهو يغنى بصوت أجش ولكنه مرح :

« أيتها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم
دعينى أخبىء نفسى فيك »

يعود للظهور بقميصه وهو آخذ فى ارتداء ازار من الصوف فوق صدريته . يجلس وهو ما يزال يغنى ويصب لنفسه قدحا من البيرة ويبدأ بفك رباط حذائه ثم يضعه فى صندوق محشو بالورق فى مؤخرة المسرح فى الوسط . تسمع الضجة مرة أخرى أسفل الدرج . يشرب من قدح البيرة ثم يتناول مبرد أظافر ويقف منظفا أظافره بخبرة ، كما لو كان ينفض ذرة موهومة من التراب . صرخة من أسفل الدرج . يتكلم بيلى باهتمام وتدبر .

بيلى : بولنديون وايرلنديون مجرمون !!
يجلس ويلبس (شبشبه) — (دق على الباب الأمامى ، يتناول نظارته من علبته ويلبسها) .
انى أكرههم أولاد الحرام .

يفتح جريدته . جرس الباب ما زال يدق . تبدو عليه المضايقة ولكنه قد رفع

قدميـــه مؤثرا الراحـــة على الحركة .
يغنى بمرح وكأنمـــا يريد أن يغطى على
رنين جرس الباب) .

بيـلى : أنا قريب منك يا الهى
قريب منك
(يصغى ثم يتابع الغنـــاء) .
حتى لو كان صليباً
ذلك الذى يرفعنى
(يتناول الصحيفة وينظر فيها باهتمام) .
فان كل ترانيمى ستكون
أنا قريب منك يا الهى
قريب منك .
(يضع الصحيفة) .
ــ (واقفا) لمـــاذا لا يفتحون الباب اللعين .
(يعتمد بذراعيـــه على الكرسى مفكرا
فيما اذا كان عليه أن يذهب آخر الأمر) .
ــ يجب أن يسجن بعض هؤلاء الناس .
(يبدو ان ليس عليه أن يذهب آخر الامر
فيعود للجلوس فى مرح) .
(يتناول الصحيفة ، ثم يلقيها فجأة) .
ــ مخلوقات قذرة متعفنة .

ـــ يا الهى ، أشعر بتيار هواء .

(يقوم فيذهب الى الباب وينظر للخارج) .

ـــ أراهن أنهم تركوا الباب الخارجى مفتوحا . فلاحون .. هكذا هم .

(يتناول « بطانيـــة » ويسويها أسفل البـــاب) .

ـــ يظهر أنهم ولدوا فى الغيطان ... حيوانات

(يعود الى الكرسى ويجلس) .

كالحيوانات ... كالحيوانات المتوحشة .

(يستقر فى جلسته . تدخل من البـــاب الخلفى الأيسر فتـــاة شابة . بيلى يصب لنفسه بعض البيرة . الفتاة تقرع الباب . فيصغى) .

ـــ من هـــذا ؟

(تقرع الفتاة البـــاب ثانية) .

ـــ من هذا ؟ أنا لاأستطيع أن أجد أى هدوء فى هذا البيت اللعين .

الفتـــاة : أهذا أنت ياجدى ؟

بيـــلى : ماذا ؟

الفتـــاة : أنا چـــين .

بيــلى : (وهو ينهض) من هذا ؟

جــين : أنا ... چين .

بيــلى : (يذهب الى البــاب ويقف خلفه) لا أستطيع حتى قراءة الصحيفة فى هدوء . من ؟

جــين : أنا حفيدتك .

(تحاول جين دفع الباب ولكن البطانية تمنع فتحه) .

بيــلى : دقيقة واحدة !! دقيقة واحدة !! شذى عنــان جوادك .. (ينحنى) .

جــين : متأســفة .

بيــلى : شذى عنان

(يرفع البطانية ويفتح الباب فينفرج عن جين رابس وهى فىحوالى الثانية والعشرين سمراء ذات اسنان بارزة قليلا ، ضعيفة النظر من النوع الذى يسميه معظم الناس عاديا ولكن روح الفكاهة والرقة قــد بدأت تثبت طابعها حول انفها وعينيها . أما فمها فواسع دلىء) .

جــين : هالو جدى .

بيــلى : لقد عجبت من يكون الطارق بحق الجحيم .

جـين : أنا آسـفة .

بيـلى : ظننت أنه واحد من هؤلاء النـاس المجانين . لا بأس ، ادخلى ان كنت داخلة ، ان الوقوف تجاه الباب يعرضنا للتيار ، لم أجلس الا منذ لحظة .

جـين : (داخلة) هل أزعجتك ؟ أنا آسـفة .

بيـلى : لم أجلس الا منذ لحظة لاقرأ صحيفة المساء . ان هذا المكان زريبة قذرة .

جـين : حسنا . كيف حالك ؟

بيـلى : زريبة قذرة . انهم يستحقون السجن . وأنت تعرفين الحال الآن ، الا تعرفين ؟ ألا تعرفين من عندها فوق فى حجرة ميك القديمة ، ألاتعرفين؟ شخص أسود . هذا حق . أقول لك لقد أتيت الى مستشفى مجانين هذه المرة .

جـين : انك تبدو على أحسن حال . كيف صحتك ؟

بيـلى : اننى على ما يرام . لابد أن تتوقعى قليـلا من الأوجاع والآلام عند ما تصلين الى سنى . لقد ذهبت فوبيا الى السينما على ما أظن ، لم تقل لى انك قادمة .

جـــين : انى لم أخبرها .

بيـــلى : نعم ، انها لم تقل أى شىء . ولذا لم أكن أتوقع طرق الباب .

جسين : لم أقرر الحضور الا هذا الصباح فقط .

بيـــلى : منذ لحظة فقط جلست لأقرأ صحيفة المساء ..

جـــين : أنا آســفة ... لقد أزعجتك .

(وقــد احسنت فهم الموقف ، فقــد وضح ان امسيته قد أزعجت . يزول عنه مظهر المضايقة فيتسم قليلا . وهو مسرور لرؤيتها على اى حال) .

بيسلى : لا بأس . أعطى جدك قبلة ، هيا .

(تفعل ذلك) .

جـــين : انه لحسن أن أراك .

بيـــلى : انه لجميل ان أراك يا حبيبتى . انها لمفاجأة الى حد ما . هيا تخففى .

(جين تخلع معطفها وترمى علبــة من السجاير على المنضدة) .

جسين : أحضرت هذه لك .

بيـــلى : لن تتأخر فوبيــا طويلا . ما الذى خرجت من أجله ، لا أدرى .

جـين : ذهبت الى السينما ، أليس كذلك ؟

بيـلى : انها مجنونة . أوه ، هذا لطيف جـدا منك ـ لطيف جـدا . أشكرك . نعم لقد قالت انهـا ستبكر فى الذهـاب . لست أدرى لمـاذا لا تستطيع البقاء فى البيت .

جـين : أوه انك تعلم ... لقد كانت هكذا على الدوام. ان هذا يسرها .

بيـلى : أوه ، سيكون عليها أن تتعلم . انها لم تعـد صغيرة بعد . عندما تصل الى سنى لن تفعل هـذا .

(يفتح علبة السجاير ويخرج مبسما من العـاج من صدريته) .

أوه ، هذا جميل منك . أشكرك . ومع هـذا فلو بقيت فى البيت فانهـا لا تكون الا عنصر مضايقة ، وأنا لا أطيق المشاجرات . لم أعـد أطيقها .

(يحدق أمامه) لا فائدة ترجى من مناقشـة فوبيا على أى حال . أتأخذين شيئا من البيرة ؟

(تهز رأسـها) .

انها لا تريد أن تصغى اليك وكفى . أواثقة من أنك لا تريدين . هناك سلة كبيرة فى المطبخ ، أحضرها فرانك هذا الصباح .

جـــين : لا ، شكرا يا جدى .

بيـــلى : لا ... عندما تعتريها هذه الحالة لا أفعل شيئا سوى أن أخرج .

جـــين : والى أين تذهب ؟

بيـــلى : أتمشى أو أذهب الى النادى . انك لم تذهبى الى النادى . أوه ، اذن فلابد من أن آخذك . انه فى منتهى الهدوء ، ليكن فى علمك ، فيما عدا أيام العطلة الأسبوعيـــة حيث تأتى بعض الزوجات ، ولكن أغلبهن من الزمن القديم مثلى .

جـــين : يبدو أنه شيء سار .

بيـــلى : نعم انه مكان ما يمكن الذهاب اليـــه عندما يضيق صدرك بالبيت . لا تظنى انه يتفق كثيرا مع ذوق الشـــباب من أمثالك . وأحسب أنك تفضلين الذهاب الى تلك المحلات التى تعزف فيها موسيقى الجاز .

جـين : انى أحب أن أذهب الى النـادى . لابد أن تأخذنى .

بيـلى : أحقا تريدين ؟ تريدين ؟ وهو كذلك . ولكن أنبهك ، لن تجدى هنـاك شيئا من موسيقاكم الحمقاء . كم ستبقين هنا ؟

جـين : عطلة آخر الأسبوع فقط .

بيـلى : سنذهب مسـاء غد . انهـا ليلة طيبة ... يوم الأحد ... أغنى لهم بعض الأغنيات القديمـة أحيانا عندما أحس بالميل الى ذلك . لم أفعل ذلك مؤخرا ، ومنـذ فترة طويلة . يبدو اننى لا أحس ميلا الى ذلك .

جـين : أين أبى ؟

بيـلى : فى المسرح . انه يمثل هنا ... على مسر الجرائد. هذا الأسبوع كما تعلمين .

جـين : أوه ، نعم ، طبعا .

بيـلى : يبدو اننى لا أحس ميـلا الى ذلك هذه الأيام .. انك تحسين ببعض الضيق أحيانا من الجلوس هنا . واذ ذاك هناك محل كامبردج فى نهـاية

الشارع ، أذهب اليه بالطبع ولكن الناس أصبحوا غير الناس ، كما تعلمين . ماذا عن الأخبار : — آه — ؟ انها تثير الضيق . ما رأيك فى كل هذه الضجة القائمة فى الشرق الأوسط ؟ يبدو أن الناس يستطيعون أن يفعلوا بنا ما يشاؤون . ما يشاؤون تماما . انى لا أفهم هذا . الحق انى لا أفهمه . ارشى يذهب الى هذا المحل اللعين بجوار ساعة البرج .

جين : الروكليف .

بيلى : نعم الروكليف . كل ولد مشاكس مغامر فى هذا الحى يذهب الى ذلك المحل فى عطلة آخر الأسبوع . حاول آرشى أن يأخذنى الى هناك ذات يوم . لا ، شكرا . انه ليس الا سوقا للتحم العارى .

جين : وكيف حال أبى ؟

بيلى : انه أحمق .

جين : أوه ؟

بيلى : يصرف المال على فرقة متجولة .

جين : لم أعلم بهذا .

بيـلى : أوه ، انها واحدة أخرى من أفكاره الحمقاء . لقد رفض أن يصغى الى . انه يضيع نصف وقته فى ذلك الروكليف .

جـين : نعم نعم . وأى نوع من البرامج هذه المرة ؟

بيـلى : أوه ، انى لا أتذكر اسمه .

جـين : هل رأيته ؟

بيـلى : لا ، لم أره . ولن أراه . هؤلاء العاريات . انهم يقتلون المهنـة . على أى حال .. أنا أقول له دائما ... انها ماتت بالفعل . ماتت منذ سنين . لقد كانت منتهية ميتة عند ما تركتها لقد تنبأت بذلك ، فهجرتها . انهم لم يعودوا يريدون أناسا جادين .

جـين : لا ، انهم لا يريدون على ما أظن .

بيـلى : انهم لا يريدون بشرا . لم يعودوا يريدون ، كنت أتمنى ألا ينغرز فى هذا الروكليف . انه يحصل على نصف فتياته العاريات من هناك . (متحمسا) انى لأعجب لمـاذا يأخذ رب أسرة زوجتـه وأولاده ليروا بضعة من بغايا الدرجة الثالثـة

وهن واقفات عرايا ؟ لقـــد عدمن حتى القوام
هذه الأيام . كلهن جلد على عظم .

جســين : (تبتسم) مثلى .

بيــلى : كلا . انك لا تقفين وسط الناس وأنت متجردة من كل شيء ليحملق فيك كل انسان ويباركك الله من أجل ذلك . بل انك لا ترين أبدا امرأة ذات قوام جميل حقا هذه الأيام . لا ، أستطيع أن أذكر لك الآن شيئا عن النساء الجميلات ، نعم أستطيع . ولم يكن جمالهن كله مصطنعــا بمساحيق الزينــة . لقد كن سيدات . سيدات تخلعين قبعتك احتراما قبــل أن تجرئى عــلى مخاطبتهن . أماالآن فمن المتعذر فى أغلبالأوقات تمييز النساء من الرجال . خصوصا من الظهر . بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيــدا فى بعض الأحيان .

جســين : مثل الحكومة والمعارضة .

بيــلى : ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة . لاتكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة . مجموعة دنسة من الأوغاد ، يستحقون السجن . لا ،

ان آرشى لأحمق ، انك لا تظفرين منـــه حتى بالاصغاء . ولهذا تماشيت مع فوبيا . لقد كان عليها أن تجارى الأمور ، بوسعى أن أقول لك هذا . ولكن ليس على أن أقوله لك . أخشى أنه سيسقط بل فى أقرب وقت . لقـــد قضم أكثر مما يستطيع أن يمضغ .

جـــين : تعنى فى هذه الفرقة الجديدة . هل صرف عليها بعض المـــال حقا ؟

بيـــلى : صرف عليهـــــا بعض المـــال !! لا تثيرى فى الضـــحك . انه مفلس . كله بالاســـــتدانة . بالاســـتدانة من فضلك . انه ليدهشنى كيف يحصل على المـــال بعد هذه العملية الأخيرة . ومع هذا فانه يستطيع أن يتكلم على الدوام ، أبوك هذا . وهذا كل ما فى الأمر . أتعلمين اننى أنفقت آلاف الجنيهات فى سبيل تعليمه . ألحقته بنفس المدرسة التى كنت فيها . وأخوه.

آلاف الجنيهـــات لم يكن من أولئك الذين أحرزوا منحة دراسية مثلك . وأين أوصـــلهم هذا ؟ (يتناول جرعة) هذا الروكليف . يجب أن يغلقوا هذا المحل . يجب أن يكتب أحدهم

الى مجلس المدينة عنه . يدهشنى أن أحدا لم يفعل هذا . يوجد هنا كثير من السادة كما تعلمين . بجانب الأوشاب الذين هنا . أناس من المتقاعدين . انهم لا يريدون استمرار مثل هذا الشيء . هل أنت بخير ؟ ان منظرك يوحى بأنك سهرت ليالى طوالا أو شيئا كهذا . ماذا كنت تفعلين بنفسك ؟ كثير من تلك الحفلات ، آه ؟

جين : لا ، ليس كذلك فى الواقع .

بيلى : على أى حال يجب أن تستمتعى بوقت طيب فترة شبابك . فأنت لا تستطيعين ذلك فيما بعد . أراهن أنه لن يعود حتى آخر هذا الليل .

جين : أبى ؟

بيلى : انى مسرور جدا برؤيتك ياجين . هل أنت بخير؟ هل تلقين منهم معاملة طيبة ؟

جين : أوه ، نعم .

بيلى : أرجو أن يكونوا راضين عنك . ليست لديك أية متاعب

جين : لا يا جدى ، ليست لدى أى متاعب .

بيــلى : كل ما فى الأمر أننى مستغرب مجيئك لرؤيتنــا فجأة هكذا .

جــين : أوه ، انه مجرد ...

بيــلى : أنا لا أطلب منك أن تخبرينى . لكِ أن تفعلى ما تشائين يا حبيبتى . أشك فى أنك جائعــة ، أليس كذلك ؟

جــين : لقد أكلت فى القطار .

بيــلى : ما كان ينبغى لك أن تفعلى هذا . انه اسراف ، وكل ما يقدمونه لك شيء من النفــايات . انك لست مسرفة ، أليس كذلك ؟

جــين : لا أظن هذا .

بيــلى : لا ، لم أظن هذا . انك فتاة طيبة ياجين . انك ستشقين طريقك . أنا أعــرف أنك ستشقين طريقك . انك لست كهذه المجموعة التى فى هذا البيت . ستفعلين شيئاً ما لنفسك . انك تقتدين بجدك العجوز .

(تبتسم له باعزاز) .

أليس كذلك ؟ جين ، اذا صادفك أى نوع من

المتاعب فانك ستجيئين الى في الحال ، أليس كذلك ؟

جسين : سأفعل هذا .

بيلى : انى أعنى ما أقول . والآن انظرى ... لا يوجد هنا غيرنا نحن الاثنين . عدينى بأنك ستحضرين وتخبرينى .

جسين : بالطبع سأفعل هذا . ولكن لاشيء هناك ...

بيلى : اننى لا أهذر ، بل أنا جاد . ستعود فوبيا فى أى لحظة ، وأنا لاأريدها أن تعرف . أريد أن تعدينى .

جسين : أعدك . اذا طرأ أى شيء ....

بيلى : اذا كان الأمر أمر نقود ، فاعلمى ...

جسين : أقول لك انى ...

بيلى : عندى بضعة جنيهات فى صندوق توفير البريد، ليكن فى علمك أنها ليست كثيرة ، ولكن عندى بضعة جنيهات . ما من أحد يعرف هذا ، ولذا فلا كلمة ، احذرى .

جسين : وهو كذلك .

بيسلي : حتى ولا سكان البنسيون ، فأنا لا أطلعهم على أحوالي . ولكن كما قلت ...

جسين : جدي ، اني أعدك . اذا احتجت الى أي شيء ...

بيسلي : لعلهم لا يدفعون لك الكثير في عملك ، أليس كذلك ؟ أخبريهم ماذا تستحقين ، انهم لصوص .

جسين : انهم يدفعون الكفاية .

بيسلي : كم كانت نفقات سفرك الى هنا ؟

(يبدو أنه قد شطح قليلا .

جسين : لا يا جدي أرجوك ... أنا لا أريدها .

بيسلي : كفى عن هذا الجدل اللعين . ما دمت أريد أن أعطيها لك فستأخذينها . انتظري دقيقة واحدة ...

جسين : أرجوك ...

بيسلي : ما هي المسألة ؟ أهي دون الكفاية ؟

جسين : ليست هذه هي المسألة ...

بيسلي : ماذا اذن . افعلي ما يقال لك وخذيها . أنا ما كنت لأجرؤ على مجادلة جدي ، حتى وأنا في

مثل سنك (يعد نقوده) أوه ... حسنا ، يبدو أنه ليس معى ما يكفى الآن . كم عددها ؟

جين : لا أذكر .

بيلى : بل تتذكرين بالطبع . انظرى ، هاك قليلا من النقود ، خذيه الآن خصما منها ، وفى يوم الاثنين سأذهب الى مكتب البريد وأسحبها لك.

جين : يا حبيبى ، انك ستحتاج هذا اليوم عطلة الأسبوع ، هناك السجاير والصحف ، فضلا عن أنك ستأخذنى الى النادى . ألا تذكر ؟

بيلى : أوه نعم ، لقد نسيت هذا . اذن فلنعتبره قرضا، هل توافقين ؟

جين : قرض ؟

بيلى : نعم قرض . أنت تعرفين ما هو القرض .

جين : أوه ، وهو كذلك .

بيلى : يجب ألا تشعرى بالاحتياج . كلنا محتاجون للرعاية ، وعليك أن ترعى أهلك الأقربين . فلا فائدة فى أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس

لديهم المقدرة على فعـــل شيء لأنفسهم . أنا أريد أن أبسط رعايتي عليك ياچين . أريد ... أريد حقا . فأنت فتـــاة طيبـــة وأنا أعلم أنك ستصنعين شيئا من حياتك ، ستكونين انسانا مرموقا ، لن تضيعى حيـــاتك عبثـــا وتكونى حمقاء .

جسين : بارك الله فيك .

بيسلى : لا تضيعيها عبثا ، اصنعى منهـــا شـــيئا طيبا . لا تضيعيهـــا . اجلسى بالله . ان منظرك يوحى بأنك موشكة على أن تأخذى قبعتك ومعطفك وتنصرف . اجلسى وتحدثى الى جدك . قليلا ما أجد الفرصة للتحدث مع أحد . انهم يظنون بك بعض الخبـــل لمجرد أنك تستطيعين تذكر الأشياء عندما كانت تختلف قليلا عما هى عليه . هيا ، خذى كأسا .

جسين : أشـــكرك .

بيسلى : خذى مثلا فتاة البار التى فى الكامبردج . أنا لاأذهب الى هناك كثيرا . لقد رأيتها تضحك وتخفى ضحكها ، وهى تحسبنى لم أرها ، ولكنى لست مخبولا ، كما أنها قطعة من البضاعة العادية .

ثديان كبيران يبرزان من هنـــا ، كما لو كان المقصود أن تريهما عند ما تميلين نحو كأسك ، الأمر الذى يكفى لأن يمحـــو أثر البـــيرة من رأسك . ثم انها تنتقص مقدار الكـــأس . ان عليك أن تراقبيهم ، فهم يظنون أنهم يستطيعون اللعب عليك .

جـــين : متى تنتهى الحفلة الثانية ؟

بيـــلى : لا أعلم . حوالى الحادية عشرة على ما أظن . ستسهرين الليل بطوله اذا انتظرته . ما كانوا ليستخدموا واحدة من هـــذا النوع فى الأيام المـــاضية ، واحدة كالبغى الرخيصة .

جـــين : لعل يجب أن أذهب لمقابلته .

بيـــلى : افعلى ما شئت يا ابنتى . أما أنا فلا ، لقـــد وضعوا جهاز تليفزيون فى ذلك البـــار الآن . تليفزيون . من تظنه يريد جهـــاز تليفزيون فى حانة ، لا يكاد صوته يدوى حتى تعجزى عن سماع أفكارك . هل تعلمين ؟ هل تعلمين انى طلبت منهم أن يقفلوه ذات ليلة . هذه البقرة ذات الثديين ، من المتوقع أن تكون وقحـــة ، ولكننى وقتئذ طابت من صاحب المحل ، تشارلى

روز . انه صديقى . أعرفه منذ سنوات . ومع هـذا أتعلمين انه رفض أن يستجيب لطلبى . لست أدرى ما الذى جرى لكل الناس . لست أدرى . هل تعلمين ؟

جـين : (غير مصغية) لا ياجدى ، لست أعلم .

بيـلى : ان هذا لما يحزن ... أحيـانا . تشارلى روز العجوز دون سائر الناس . منذ ذلك الحين لم أستطع دخول ذلك المكان . لقد أحضرت هذه البـيرة فى غير فترة الترخيص وأنا فى طريقى (ينظر اليها بخبث) أظن أنه لا يحق لك أن تتوقعى من النـاس أن يصغوا اليك ما دمت تتحدثين عن حياتك التى ولت وانقضت ، لقد انتهى الأمر بالنسبة اليك فلماذا يتعين على أى انسان أن يصغى اليك ؟ (سكتة) هل شربت شـيئا ؟

جـين : نعم .

بيـلى : أعرف المرأة دائما عندما تكون شاربة .

جـين : أنا آسـفة .

بيـلى : لا بأس يابنيتى . انى لأظنك تعلمين ماتصنعين ،

يجب أن أرفع قدميك وأغمض عينيك ، وستشعرين بتحسن بعد دقيقة .

جين : لقد شربت أربع كاسات من الچن . أربع كاسات كبيرة من الچن . سأكون على ما يرام . ماحال العمل ؟

بيلى : فى المسرح ؟ لا علم عندى . ولا أسأل . ولكنى أراهن أن فى صالون بار كمبردج من الناس أكثر مما عنده هناك . أنا أعرف بماذا تحسين أيتها الفتاة . عليك أن تسترخى .

جين : أنا أحب الاستماع اليك . وهكذا كنت دائما .

بيلى : نعم ، لقد كنت تحبين دائما أن تأتى لرؤيتى ، أليس كذلك ؟ وكنت تستمتعين فى صحبتى عندما كنت صبية . كنت شيئا جميلا صغيرا ؛ بغدائرك السود وملابسك الصغيرة . (بسرعة) ليس معنى هذا أن المنظر هو كل شيء ، حتى بالنسبة للمرأة . لا تصدقى هذا ، انك لاتنظرين الى زينة رف المدفأة وأنت تقلبين النار .

(جين تجلس وتتكىء الى الوراء) .

لا ، سأقول هـذا لآرشى ... لقد حرص دائما

على العنـــاية بجمـــال مظهرك ، وكنت تلوحين كالصورة الصغيرة على الدوام ، بل أقول انه أنفق الكثير . لقد كان صبيا أنيقا هو نفسه . كنت ألبسهم ملابس البحارة اذ ذاك . لقد كان صبيا جميلا . عجيب كيف يتبدلون جميعـــا . (سكتة ثم برقة واخلاص) انى لأشعر بالحزن من أجلكم أيها الناس . فأنتم لا تعرفون حقيقة الحياة . انكم لم تعيشوا معظمكم ، ولم تعرفوا أبدا ما هى الحياة ، الحق أنكم تعساء جميعا ، لا تعرفون كيف يمكن أن تكون الحياة .

(الأضواء تتلاشى — ينزل ستار خلفى معلق) .

(٢)

ستار امامى — المسرح مظلم — الضوء الكاشف مسلط على الزاوية المناســبة . تعزف الموسيقى — يدخل آرشى رايس .

آرشى : مساء الخير سيداتى وســادتى . اسمى آرشى رايس . حبيب مسز رايس . ســوف نقــوم بتسليتكم خــلال فترة الســاعتين والنصــف القادمة ، ولقد بدأتم فى هــذا بالفعل . فقــد

أغلقت كل أبواب الخروج . وبمناسبة الكلام عن اغلاق أبواب الخروج فان بعض النـاس يجب أن تقفـل عليهم أبواب السجون . أن يسجنوا . هـذا صحيح بشرفى . سأعطيكم حالة من هذا النوع . حالة من هـذا النوع . زوجتى ... زوجتى . تشارلى العجوز يعرفها . أليس كذلك يا تشـارلى ؟ تشـارلى العجوز يعرفها . انها عملية حقيقية لأى مقاول لاصلاح الطرق ، أليس كذلك يا تشارلى ؟ لا بأس . لقد أخذت حفارته منه الآن . أخذتها . أليس كذلك يا تشـارلى . انه الرجـل السوبرانو الوحيد فى اتحاد الموسيقيين . أنا أعرف ماذا تنتظرون . أنا اعرف ماتنتظرون ومن ذا الذى لا يعرف . وانما عليكم أن ترفعوا رؤوسكم ... فسوف تهوى فى ظرف دقيقة . عليكم أن تنتهوا منى أولا . والآن ... الآن ...

لكى نفتتح العرض سأغنى أغنية صغيرة كتبتها بنفس أرجو أن تعجبكم .

لمـاذا أحمـل الهم ؟
لمـاذا أتركه يسـنى
لمـاذا لا أجلس وأحاول

أن أجعله يمر من فوقى ؟
لمـــاذا أتركه يرهقنى ؟
لمـــاذا يشخصون الى بأبصارهم ،
ما فائدة اليأس ،
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انك اذن ميت منذ زمن طويل
مثل صديقى فريد .
واذن فلماذا ، أوه لماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يرقص رقصه المعتـــاد) .

لمـــاذا أحمل الهم ؟
لمـــاذا أتركه يمســـنى
لمـــاذا لا أجلس وأحاول
أن أجعله يمر من فوقى
لمـــاذا يشخصون الى بأبصارهم
لمـــاذا أتركه يصرعـــنى ؟
ما فائدة اليأس
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انهم لو رأوك محزونا لسخروا منك
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم
(الحمد لله أنا شخص طبيعى)
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يخرج) .

(تتلاشى الموسيقى . يرتفع الستار الخلفى عن بيلى وجين وفوبيا . فوبيا فى حوالى الستين ذاتشعر أشقر كان جذابا فى زمانه وما زالت تبذل له عناية كبيرة . وجهها معالج بالأصباغ ولكن فى غير حذق . لا تستقر أبدا ولا تصغى أبدا — شأنها شأن معظم أفراد هذا البيت . أما اذا اضطرت للجلوس والاصغاء لأى انسان فانها عادة تصير شاردة اللب متضايقة ، جالسة على حافة كرسيها ، تتلوى أصابعها حول شعرها . والآن نراها محمرة الوجه كطفل متأهب للانفعال) .

فوبيا : أوه ، لكم سيكون سعيدا برؤيتك . (لبيلى) أليس كذلك ؟ ولكن لماذا لم تخبرينا حتى أعد لك شيئا أواثقة أنت من أنك لاتحتاجين لشىء عندى قطعة من لحم الخنزير ... اشتريتها هذا الصباح . ألا تحبين شيئا منها ؟

جين : لا . شكرا ياعزيزتى . لقد قلت لك اننى جئت عفو الساعة .

فوبيا : صحيح . . . قلت لى هذا . وكذلك ذكرت فى خطابك شيئا عن سفر فى عطلة

الأسبوع . هل وقع ما لم يكن فى الحسبان ؟

جـين : غيرت رأيى .

فوبيا : أوه ، حسنا . انه لجميل أن نراك . أليس كذلك يا بابا ؟ انه مسرور . قلما يجد من يحادثه . أليس كذلك ؟ أقول أنك قلما تجد أى فرصة للحديث . انه ينفرد هنا أغلب الوقت. وليس هذا ذنبى . انه لا يجب أن يصحبنى الى السينما . ولكن ينبغى للانسان أن يذهب الى مكان ما ، هذا ما أقوله له . فالانسان يتصلب ضيقا بالجلوس فى البيت . انه يحب أن يسمع تمثيلية من الراديو فى بعض الأحيان . قد تحبين التمثيلية الجيدة ، ولكنى لا أستطيع الجلوس طويلا بل أفضل شيئا من السينما .

بيلى : أنا لا أشكو شيئا .

فوبيا : على أى حال فالسينما نوع من الجلوس أيضا ولكن الأمر يختلف ، أليس كذلك ؟ فلنفتح هذه (تشير الى الزجاجة التى على المنضدة) ما كان ينبغى أن تشترى الجن . انها شقية .

أليس كذلك ؟

بيلى : كان يجب أن تكون أكثر تعقلا ... انها تبذر نقودها .

فوبيا : لا بأس ... انها كبيرة القلب ، هذا هو الشيء الأهم . ناولينى قدحين ، ستأخذين واحدا معى، أليس كذلك ؟ أنا لا أريد أن أشرب وحدى .

جين : وهو كذلك . قدح صغير .

فوبيا : أوه ، آسفة يا بابا ، أتريد كأسا ؟

بيلى : لا ، أشكرك .

فوبيا : أوه ، انه لذيذ . يا للخجل ... كان المفروض أن أعود الى البيت قبل الآن ولكنى بقيت لأرى جزءا من الفيلم الكبير مرة أخرى .

بيلى : أنا أعقل من أن أبالغ فى هذا

جين : كيف كان الفيلم ؟

فوبيا : الفيلم ؟ أوه ، لم يكن كبير الأهمية . ولكن كان فيه الشخص اللطيف ، ما اسمه ؟ أوه ، انه يغنى أحيانا ، ذو عينين غائرتين سوداوين . لعلك تعرفين من الذى أقصده .

جـين : هل هو آمريكى أم بريطانى ؟

فوبيا : أوه ، لست أدرى . أمريكى على ما أظن .

جـين : ما اسم الفيلم ؟

فوبيا : (تضحك) ويحى . ينبغى أن تكونى أعقل من أن تسألينى هـذا السؤال . أنت تعرفين مبلغ ضـعف ذاكرتى . هيـا . فى صحتك (تشرب أوووه ، انهـا لرشفة لذيذة من الجن .... بعض الخمر التى يقدمونهـا لك الآن ... لهـا طعم العطور الرخيصة . يجب أن تسمعيه وهو يتكلم عن البيرة . لا . انهم يعرضون كثيرا من الأفلام التافهـة فى دور السينما هـذه الأيام . لم أر فيلما واحدا جيدا منذ أجيال . يظهر أن لا شىء فيها سوى العصابات أو الغناء ، اما هذا واما أفلام رعاة البقر . انه لا يهتم بها كثيرا ، ولكننى لا أستطيع أن أحتمل هـذا السيل من اطلاق الرصاص ، انه يسبب لى الصداع ، ومع هذا فانى شنيعة ... اذا لم أجد شيئا آخر معروضا فانى أذهب كالعادة ، أليس كذلك ؟ حتى ولو الى الدار التى يعشش فيهـا البق التى عـلى الناصية ، حيث اشـترى لنفسى حلوى بستة

بنسات وأقضى ساعتين بصرف النظر عما هـــو معروض . وعلى فكرة ، سمعت انهم سيغلقون هذا المحل . لقد ساءت الأحوال كلهـــا ، هـــذا ما أقوله لآرشي . بالطبع انه قلق لأن حالة العمل سيئة . وهذا هو الواقع . ان الناس ليس لديهم نقود ، أليس كذلك ؟ أنا فى محـــل وولويرث الآن ، هل أخبرتك . أعمـــل فى قسم الأدوات الكهربية . لا بأس بالعمل . كل ما فى الأمـــر أن البنات عاديات بعض الشيء . أوه انه لجميل أن أراك . سيكون آرشي مسرورا جدا . انها ممتقعة اللون ، ألا تظن هذا ؟ أترى انها تبدو ممتقعة قليلا ؟

بيـــلى : انها تبدو على ما يرام .

فوبيـــا : لا أظن أنها تتغذى كما ينبغى . أنت تعلم شأن هؤلاء الشابات . انهن شـــديدات الاهتمـــام بقوامهن . اذن فأنت لم تسافرى لقضـــاء عطلة الأسبوع آخر الأمر ؟

جـــين : لا .

فوبيـــا : جراهام بخير ، أليس كذلك ؟

جـين : نعم أنه بخير .

فوبيـا : لم يحدث ما يعكر الصفو ... هل حدث ؟

بيسلى : لمـاذا لا تعنين بشئونك اللعينة ؟ انها ستقول لك لو أرادت .

فوبيـا : هو ذاك ، أنا أعلم هذا . لن يضيرها أن تخبرني لو أن هناك شيئا ، أليس كذلك ؟

جـين : وقع خلاف بسيط ، لا شيء أكثر من هـذا . هذا كل ما فى الأمر .

فوبيـا : حقا انها ليست ابنتى ، غير أننى عاونت قليلا فى تربيتها ، أليس كذلك ؟ انها ابنة آرشى . وقد يبدوغريبا بعض الشيء أن لا أهتم بكونها سعيدة أو لا . أوه ، على كل حال ياعزيزتى لاتهتمى أبدا ، سوف تصلحين الأمر حالا . ان الرجال مخلوقات عجيبة . لست فى حاجة لأن تهتمى بهم أبدا .

جـين : (مبتسمة) أتمنى ذلك . هذا حق. خذى كأسا آخر.

فوبيا : سوف تشعرين بالتحسن حالا. ماالذى تشاجرتما بسببه ؟ أراهن على أنه شيء سخيف. هل فسختما الخطبة ؟

جـــين : لست أدرى . يجوز .

فوبيـــا : أوه يا عزيزتى . انى لآسفة .

جـــين : لقد ذهبتُ الى رالى فى ميـــدان ترافلجار يوم الأحد المـــاضى .

بيـــلى : ماذا فعلتِ ؟ !

جـــين : ذهبتُ الى رالى فى ميدان ترافلجار .

بيـــلى : لمـــاذا بالله ؟

جـــين : لأننى ، يا جدى ، بطريقـــة ما ــ ومع كثيرين غيرى ، مع ماقد يبدو فى هذا من غرابة ــ أردت أن آخذ لنفسى فكرة عن الطريقة التى تجرى بها الأمور .

بيـــلى : فذهبتِ الى ميدان ترافلجار ؟ !

فوبيـــا : لقد قالت هذا ، أليس كذلك ؟

بيـــلى : اذن فأظن أن رأسك اللعين فى حاجة الى فحص ؟

جـــين : كان هـــذا بالتقريب رأى جراهام . وكل ما فى

الأمر أنه يصغرك بنحو خمسين سنة فعبر عن رأيه بطريقة مختلفة بعض الشيء . والواقع أن المسألة كلها بدأت حول شيء ما أردت أن أفعله ، واذ ذاك انهمر السيل ، أشياء كثيرة . كل أنواع المرارة ... أشياء ما كنت لأعلم حتى بوجودها .

بيلى : لم أكن أعلم أنك تهتمين بالسياسة .

جين : ولا أنا . لقد كنت أجد الأمر كله باعثا على الملل.

بيلى : يا رحمن يا رحيم . لقد رأيت غرائب فى حياتى . هذه نتيجة اعطائهن حق التصويت اللعين . انهن يبدأن فى فسخ خطباتهن لمجرد انهن يصدقن كل من هب ودب ممن يكتبون فى الصحف .

فوبيا : أوه ، اسكت ولو دقيقة واحدة يا أبى . (الى جين) هل تشاجرتما بسبب شيء أردت أن تفعليه ؟

جين : نعم انها ... حكاية معقدة . أظن انى كتبت اليك وأخبرتك بأننى كنت أدرس الفن لعدد من فتيان نادى الشباب .

فوبيا : أوه ، نعم ، كان هذا منذ مدة طويلة جدا .

جـين : منذ سنة تقريبا . فقد عرفت شخصا كان يؤدّى نفس العمل ــ وهو شاب يعرفه جراهام ، وقد ذكـر لى أنه ضـاق ذرعا به وأنه لا يستطيع الاسـتمرار فيـه . وقال لى « انهـم ثلة من المناجيس الصغار ، واذا كان هنالك من يعتقد أن فى الاستطاعة تعليم هؤلاء الشياطين أن يخلقوا شيئا فهو مجنون . فما هم الا ثلة من المناجيس الصغار » . هذا ما قاله . غير أن شـيئا ما ... جعلنى تواقة الى أن أجرب هذا العمل . لم يكن وراءه أى كسب ، مجرد بضعة شلنات لبضع ليال كل أسـبوع ، ولكنه كان شـيئا أعرف القليل عنه ، أو ظننت انى أعرفه ... لم أتقن التصوير بالألوان أبدا طول حياتى ، ولكن خيل لى أن هذا أمر أسـتطيع حقا أن أفعله . حتى ولو كان مجـرد عراك مع حفنة من الفتيـة المتمردين . ولقد اعتقـد رئيس النـادى أننى مجنونة ، وكذلك جراهام .

فوبيـا : لا أستطيع أن ألقى عليه اللوم حقا . انه لا يبدو عملا طيبا من أى وجهة ــ خصوصا لفتاة شابة مثلك يا جين . يلوح لى أنهم عصابة فاجرة حقا .

جـــين : لقد كانوا كذلك . بل كانوا أفجر مما يطيق أى واحد من الشبان الذين تعهدوهم من قبل .

فوبيـــا : اذا كانوا لا يريدون أن يتعلموا فلماذا يذهبون بحق السماء ؟

جـــين : كانت دراسة اجبارية ، فاذا حضروا درسا من دروسى كل أسبوع كان لهـــم أن يشتركوا فى وجـــوه النشاط الأخرى بالنادى ... كالرقص وما اليه . لقد صارعت هؤلاء الفتيان ، وكان طول بعضهم ثمانى أقدام ، ولقـــد كرهت ذلك معظم الوقت ، وكرهتهـــم . كنت أزعم لنفسى انى لا أكرههم ولكنى كرهتهم . كنت أكرههم ولكنى حسبت نفسى بالغة شـــيئا ما . والآن يريد جراهام الزواج منى ، الآن قبل أن يحصل على اجازته الدراســـية ، ولكنى رفضت . انه لا يريدنى أن أعمل شيئا لنفسى . لا يريدنى أن أهدده أو أهدد دنياه ، لا يريدنى أن أنجح . ولذا فقد رفضته . وعند هذا توالت المسائل ... ميدان ترافلجار وغيره . وكما تعلمين لم يسبق لى أن تحققت ، بل لم يخطـــر على بالى قط ، انك تستطيعين أن تحبى انسانا ما ، وأن تريديه،

وتريديه أربعـــة وعشرين ساعـــة كل يوم ، ثم تكتشفين فجأة أن لاواحد منكما يعيش حتى فى دنيا الآخر.أنا لا أفهم هذا . أنا لا أفهمه وكفى. بودى أن أستطيع فهمه . انه مفزع . آســـفة يافوبيا ، ما كان من حقى أن أشرب من هـــذا « الچن » فقد اشتريته خصيصا لك .

بيسلى : الحق أننا لانحتاج الاالى بضع حمامات هنا لنقلب هذا المكان الى ميدان ترفلجار . لم أر فى حياتى مثل هذا المكان اللعين المعرض لتيارات الهواء . كل من هنا يترك الشبابيك والأبواب مفتحة . لا أعتقد أن هذا مناسب للصحة . أقول لكم انكم تدخلون من باب فيقذف بكم الى الباب الآخر .

جـــين : كيف حال ميك الصغير ، هل وصلتكم أخبار منـــه ؟

فوبيـــا : أوه ، نعم بالطبع . لقد رحّلوه هناك ، وعلمت هذا ، ألم تعلمى ؟

جـــين : نعم ، علمت .

فوبيـــا : ان آرشى قلق عليه . انه لا يصرح بهذا ولكنى

أعرف أنه قلق . ان الأمر عجيب حقا لأنه يبدو أنهمـا لم يكونا على اتفاق قط فى كثـير من النواحى ، لا كما فعلت انت أو هو أو فرانك . انه ولد عاقل جدا ، ميك الصغير . مستقيم جداً. أستطيع أن أقول لك ان النـوم جفانى طويلا هذا الأسبوع .

بيسلى : انه ولد طيب . عندما اسـتدعوه ، ذهب دون جدال ولم يقل شيئا . ذهب بكل بساطة .

جـين : (فجأة) وعندما استدعوا فرانك رفض ، ودخل السجن من أجل ذلك ... ستة شهور . فرانك الصغـير المملوء بالشكوك فى نفسـه وفى كل الناس ، المريض بالبرد فى رأسه نصف العام ، ضـعيف الصدر . كان محظوظا اذ نجـح فى الصف الثـالث . مسكين فرانك (لفوبيا) انه ليس مكتمل القوة كما كنت تقولين على الدوام. كنت تخرجين لتشترى له بعض الحلوى ليأكلها، بل انك ما كنت لتتركيه ينظف حذاءه بنفسه ، لا ، لقد كنت تنظفينه له . ولـكنه ذهب وقال لا ، والأدهى أنه عوقب بالسجن من أجل ذلك. أوه ، لقد اسـتسلم فى النهـاية ، ولكنه قال

لا فخسر ستة شهور من حياته المعتلة المحوطة
بالرعاية ... لقد قال لا . وانى لأرى شيئا ما فى
هذا . فانتَ لا ينبغى لك أن تقارن ميك الصغير
نفرانك يا جـدى . والآن لِمَ يبـدو عليكما
التأذى ؟ لست أهاجمكما . انى لأحب كليكما
حبا جما ، ولكن لعله لم يكن ينبغى لى أن أبدأ
فى شرب الچن وأنا فى القطار .

(سـكوت) .

فوبيـا : حسنا ، فلنقفل هذا الموضوع الآن .

بيـلى : لم أقل الا أن ميك كان ولدا طيبا .

جـين : وهو كذلك . انه ولد طيب جـدا . انه شاب شجاع فى التاسعة عشرة من العمر يحارب من أجلنا جميعا ، لم يتعود أبدا بطريقة ما أن يقول لا ، ولم يرد أبدا أن يقولها ، وانى لأرجو من الله أن يعود سالمـا .

فوبيـا : أوه يا عزيزتى چين ، تعتقـدين أنه سـيكون بخـير ، أليس كـذلك ؟ لست أدرى لمـاذا يرسلون هؤلاء الصبية الى الخـارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسوا الا صبية صغارا ،

هذا كل ما فى الأمر . وليس هو الا صبيا صغيراً.

بيـلى : انك لا تستطيعين التمرد على قومـك يا چين . لا تستطيعين أن تفعلى ذلك .

جـين : أين فرانك ؟ قَوْمى ... ومن هم قَوْمى ؟

فوبيـا : انه يعزف على البيانو فى أحـد تلك المشارب التى تعمل حتى أواخر الليل . انه لا يكاد يعرف ماذا يصنع بنفسه منذ أن خرج من ذلك المكان، من ذلك السجن اللعين . لن أنسى هذا ما حييت. أن يجعلوه يدخـل السجن . لن أنسى ذلك ما حييت . لن أستطيع أبدا .

جـين : على أى حال لقد انتهى الأمر الآن . اليك كأسا آخر من الچن . لقد اشتريته لك .

فوبيـا : لا أريد . ثم حمـله على ذلك العمـل الذى لا ينبغى لغـلام مثله . حمّـال فى مستشفى . أتعلمين انهم شغلوه وقّادا للغلايات ؟

جـين : نعم . لعـله كان أحسن حالا فى الجيش ... يتدرب على الطعن بالسونكى .

فوبيـا : أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن ذلك . كنت أتمنى ألا يفعل هذا على أى حال . وانى لأتساءل هل

يكون ميك أحسن حالا آخر الأمر . أعنى أنهم يرعونهم بالفعل ... أليس كذلك ؟

جين : أوه نعم . انهم يرعونهم كما ينبغى .

بيسلى : يرعونهم الآن خيرا مما كانوا يفعلون أيام كنت هنالك . لم أقرأ صحيفة المساء بعد . موقعة الدردنيل . لقد خرجت منها بدون خدش . بدون خدش أصابنى .

جين : انهم يبسطون رعايتهم علينا جميعا . نحن على ما يرام جميعنا . لا شىء يثير القلق نحن على ما يرام (تضغط على الكلمات) . حفظ الله الملكة .

(ظلام تام . يرفع الستار) .

(٤)

(ضوء كاشف على آرشى أمام الميكروفون) .

آرشى : لقد مثلت أمامهم جميعا . الملكة . ودوق أدنبره. والبرنس أوف ويلز . و ... ما اسم هذا الشاب الآخر عجباء كان هذا أحسن فى العرض الأول . (سكوت) لقد خلعت نظاراتى . لا أحب أن أراكم تتألمون . ما شأن هؤلاء النواحين ...

اه ؟ ما شــأن هؤلاء المغنــين ؟ لا أدرى علام نحن مقبلون . لا أدرى ... شرفا . انظروا الى القمامة التى يغنونها . انظروا الى الأغانى التى يغنونها : « رقصة أدعياء المدينــة المظلمة » . « رقصة نشارى الخشب » . « رقصـــة شارع الحوض » ... انها اكوام من القمامة ، أليس كذلك ؟ . أراهن انكم ظننتمونى « نمــرة » سخيفة قبل أن اظهر ، أليس كذلك ؟ وماذا عن هؤلاء البنات ؟ (يشــير الى مؤخرة المسرح) ما القول فيهن ؟ ساحقات . أراهن انكم تظنون اننى أقضى وقتا طيبا هنا فوق المسرح مع كل هؤلاء الفتيــات المستعرضات ، أليس كذلك ؟ معكم حق . تظنون من مظهرى أننى جذاب جنسيا ، أليس كذلك ؟ لا يا سيدتى . مظهرى لا يدل على جاذبية جنسية ، أليس كذلك ؟ (سكوت) أسألوه (ويشير الى قائد الأوركسترا) أسألوه (يحملق فى النظارة) أتظنون بى هذا ، أليس كذلك ؟ تظنونى كذلك ؟ أبدا ، لست كذلك . ولــكنه هو (يشــير مرة أخــرى الى قــائد الأوركسترا) انى أفضل زجاجة من البــيرة فى أى يوم .

والآن سأغنى لكم أغنيـة صـغيرة ، أغنيـة صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها أخت الزوجـة ، أغنية صغيرة عنوانها «لن تدق أجراس الكنيسة القديمة الليلة .» . شكرا لك يا تشارلى .

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحـد فرقم واحـد هى الواحـد الأوحـد عنـدى ياانجلترا العجوز الطيبة، أنت لى كقدح الشاى ولكننى لا أريد مساواة باهتة .

لا تَدَّعوا مشاعركم تتوزع .

ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن لأن البريطانيين سيكونون أحرارا .

ان مشروع التأمين الصحى لن يجلب لكم الثراء فهـذه الشعور المستعارة والنظارات اللامعـة انما تباع لى ولكم .

والجيش والبحرية وسـلاح الطـيران
هى كل ما نحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا
انه ما زال ملكا لـكم ذلك الأحمر والأبيض
والأزرق

(ينزل العلم البريطانى) .

وهذه القطع الحمراء التى ما زالت على الخريطة
لن نتخلى عنها دون قصاصة من الورق .
مما لدينا مما بقى
سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم .
أوه ، فرقم واحد هى الواحد الأوحـد عندى
نحن جميعـا فداء للعجوز الطيبـة رقم واحد
نعم ، فرقم واحد هى الواحد الأوحـد عندى .
بارك الله فيكم !!
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى !
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى ! »

(يخـرج) .

(٥)

بيلى . فوبيا . چين

بيـلى : كن رشيقات ، وكان فيهن غموض ووقار . نعم فعنـد ما كانت المـرأة تخرج من العربة كانت تنزل . تنزل . وكنت تمدّين اليها يدك برشاقة لتساعديها على النزول . انظـرى اليهن الآن . أما رأيت أبدا امرأة تخرج من سيارة ؟ حسنا ، هـل رأيت ؟ لقـد رأيت أنا ، ولا أريد أن

أراها مرة أخرى ، أشكرك شكرا جزيلا . انى لم أر أبدا ساقى امـرأة حتى بلغت التاسـعة عشرة . لقد تزوجت وأنا فى التاسعة عشرة كما تعلمين . ولم أكن تجاوزت العشرين عندما ولد أخو آرشى . بيل الكبير . لقد سير أموره على أى حال . انى لا أذكر المرة الأولى التى وقعت عيناى فيها على جدتك . لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة . كانت ترتدى معطفا من القطيفة، وكان أسود ، أسود بفراء على حافته ، وكانت هــذه هى « المــودة » فى ذلك الوقت . كان محبوكا على قامتها . وكانت وهى تلبس قبعـة الفرو الصغيرة والدثار أشبه ما تكون بالصور.

(آرشى يدخل مندفعا وبين ذراعيه كيس وزجاجات يضعها بسرعة . آرشى رايس يشرف على الخمســين . شعـــره مرجل يخالطه المشيب . يلبس نظارات وبه انحناء بسيط نتيجة نوع من ادعاء العلم انتحـله اصلا منذ ثلاثين سنة حين تخرج من احـدى تلك المدارس العامة الصغرى فى لنـــدن ، التى كانت تعمـــل عادة على تخريج بعض مغامرى الطبقة الوسطى التافهين وكذلك مديرى البنوك والشعراء . والسيـــدات يحببنه ويدللنه لأنه اليف جدا وتبدو عليـــه

مظاهر السادة . وبعض زملائه من الفنانين
يسمونه « الأستاذ » أحيانا ، كما يسمى
نقيب الجيش المتقاعد « رائدا » ، وهو
يبدى ابتسامة عطف نحو هذه البساطة ،
حيث يعلم أنه لا ينتمى الى اى طبقة ويلعب
دوره كما يحسنه ، وهو يبدى بعض العطف
على ابيه ويكن له اعجابا عميقا . وهو
عطوف على زوجته فوبيا التى يشفق عليها
من كل قلبه ، وهذا هو ما منعه من تركها
منذ عشرين سنة . أم أن هذا — كما يظن
كثير من الناس — لأن الشجاعة تنقصه ؟
وعلى اى حال فانه لا يدارى علاقاته
المتصلة بالنساء الأخريات — حقيقة أو
خيالية ، فهى جزء من شفقته ومن عطفه
ومن اسطورته الشخصية . وهو يعطف
على ابنه الاكبر فرانك الذى ليس على
طرازه من التسامح والتصوف والشجاعة ،
والذى يكن له حبا يكاد يكون غير حقيقى
ولا مترجم . يقابل هذا أن عطفه على ابنته
جين اكثر اقترانا بالحرص والمكر والشك .
فهو يحذر ذكاءها لعلمه انها قد تكون اقوى
من بقيتهم . وما يقوله لأى انسان يلقى به
على الدوام تقريبا فى عناية بالغة . أما
ما يبدو عليه من شرود الذهن فهو من حيل
الممثل الهزلى ، حيث يخلصه من أن يبدو
عليه الاهتمام بأى شخص أو اى شىء) .

آرشى : نعم ، نعم ، عدنا الى سيقان النساء !! (للآخرين)

هذا ما يسميه شستيرن ركوب متهرك برأس متزن . أظنه كان شستيرن ، على أى حال ، أو لعله جورج روبى ؟ أوم ... هالو يا عزيزتى ، انه لشىء جميل (يقبل چين) ان نظاراتى ليست على عينى ، خيّل لى أنك محصل ضريبة الدخل جالسا هناك بعد ما ظننت اننا اقتلعناه . هل انت بخير ؟

جسين : شكرا لك . لقد شربت كمية كبيرة من الچن فى انتظارك .

آرشى : لا بأس ، يمكنك أن تشربى كأسا آخر منه بعد قليل . لم تحجزى مكانا فى فندق أو أى مكان محترم ، أليس كذلك ؟

جسين : لا ، ولكن ....

آرشى : جميل جدا انى أنام وحدى الليلة ، فباطن ساقى يؤلمنى كالعادة . وبوسعك أنت وفوبيا أن تناما فى غرفتى وسأضطجع أنا على الأريكة . كنت أتحادث الآن مع صديقنا الملون على السلم .

فوبيا : أنه طالب .

آرشى : لا ، أنه ليس طالبا . بل راقص باليه .

فوبيـا : (مندهشة) هل هذا صحيح ؟ (لچين) انه انسان ضخم .

آرشى : انه يرقص فى مسرح الحديقـة الشـتوية لمدة أسـبوعين .

بيسلى : راقص باليه !!

آرشى : لقد اخبرنى أنك لو أسقطت قبعتك هناك الآن فان عليك أن تدفعها برجلك نحو الممشى قبل أن تستطيع التقاطها

(يقف بسرعة ثم يشنانف الحديث عن خبرة) .

ليسوا جميعـا من الملونين . رأيت اثنين منهم فى الأوتوبيس فى طريق عودتى الى المنزل أمس، كانوا يتحادثون معا طول الوقت والكل يصغى اليهم . وبمجرد أن قمت لاضغط على الجرس صاحت امرأة ، « لقد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » . فظننت لحظة أنها تقصدنى، ولهذا اسـتدرت ، ولكنى وجدتهـا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها .

بيسلى : أنا لا أحب أن أرى رجلا يرقص كهذا .

آرشى : عملت مرة فى فرقة استعراضية بها راقصان من الذكور ، وحيثما ذهبنا ، وفى ليلة الاثنين من كل أسبوع ، اعتادت احدى النساء أن تشكو من انتفاخ سراويلها . حيثما ذهبنا ، كل ليلة اثنين . أنا واثق أنها كانت نفس المرأة فى كل مرة ، وكنت أسميها « تابع القافلة » . والآن ماذا تتناول ؟ فلننظر ماذا عندنا (يفتش فى الحقيبة وفى جيوبه) .

بيلى : هناك برقية لك .

فوبيا : ألا تظن أنها تبدو شاحبة بعض الشىء ؟

آرشى : انها تبدو لى بخير . كل ما فى الأمر أنها فى حاجة الى كأس .

بيلى : (وقد بدأ يتعب ويتململ) هناك برقية لك !!

آرشى : هل كنت فى المشرب أيها الفتى العجوز ؟

بيلى : لا لم أكن ! كنت جالسا هنا أتحدث مع جين .

آرشى : يجب أن أذهب الى الفراش اذا كنت تشعر بالتعب .

بيلى : لست متعبا ... انى أستطيع أن أسهر حتى تخرج فى أى يوم .

آرشى : (يتناول البرقية) كنتم تسقونه هذا الجن المريع . انه يتحدث كما لو كان كبيرا للسقاة فى زى الكهنوت . انه أحد دائنى . فلتنتظر (يرميها على المنضدة) لعلك تظن أنهم سيزدادون علما هذه المرة !! عندى بعض الجن كذلك ... وعندى ديبونيه مما تحبه فوبيا العجوز ، أليس كذلك يا عزيزتى . انها تعتقد انها تصير (لام ألف) عندما تشربه ، أليس كذلك ؟

فوبيا : انى أحبه ، يظهر أنه يناسبنى . أنا لا أستطيع أن أشرب الجن خالصا كما يستطيع هو . (لآرشى) علام كل هذا ؟ هل كانت ... هل كانت الأمور على ما يرام فى المسرح ؟

آرشى : لا ، لم تكن الأمور على ما يرام فى المسرح . فى ليلة الاثنين كان هناك ستون متسكعة بائسة ، والليلة كان هناك حوالى مائتى متسكعة بائسة . ولو أمكننا أن نفتتح العمل ليلة الاثنين فى وست هارتلپول فسيكون ذلك بالموافقة المقرونة بالتحفظ الشديد من نحو ثلاثين شخصا غاضبين . ولكنى لا أريد التفكير فى هذا الموضوع الليلة .

فوبيـــا : أوه يا آرشى .

آرشى : هيا ، تناولى الديبونيه ياعزيزتى ، لا تصيرى عاطفية أبدا . چين ، هنا كأسك . بيلى ، اصح .

بيـــلى : أنا صـــاح .

آرشى : كف عن الصياح اذن . انك تبدو كواحـــد من المعلنـــين التجـــاريين فى التليفزيون . هـــاك كأسا لك .

بيـــلى : لا أريد كأسا قذرة .

آرشى : أنك تبدو كما لو كنت ستغنى ترنيمة .

بيـــلى : أنا تعبـــان .

آرشى : هذا خير ... خذ كأسا واذهب الى فراشك .

بيـــلى : لم أقرأ صحيفة المساء حتى الآن .

آرشى : لا بأس ، اذا كنت قد ربحت الجائزة الكبرى فسنقرأ عن ذلك فى الصباح .

بيـــلى : أنا لا أريد أن أبقى هنـــا وأركد حتى لو أردت أنت . أريد أن أعرف ماذا يجـــرى فى الدنيـــا .

آرشی : نعم ... الحق أنك حسن الاطلاع الى درجة مدهشة (للآخرين) أنه يعتبر قارئا ممتازا بالنسبة لمثل عجوز جاهل .

بيسلى : لست ممثلا عجوزا جاهلا .

آرشی : بلى . انك لكذلك . والآن لا تجادل واشرب كأسك . انى أقيم احتفالا .

بيسلى : احتفال !! ماذا لديك تحتفل به ؟

آرشی : عجبا .

بيسلى : (يقف) ليس لديك شيء واحد تستطيع أن تعتبره ملكا لك . وبمثل ما أنا متأكد من أن الله خالق التفاح الصغير ، أراهن بجنيه لبنس انك ستنتهى الى قاضى التفليسات مرة أخرى قبل الكريستماس ، وستكون محظوظا اذا لم تدخل السجن كذلك .

فوبيا : خذه الى الفراش يا آرشى ، لقد غلبه التعب .

اذهب الى الفراش فقد غلبك التعب .

بيسلى : لم يغلبنى التعب . أنا لا أحب فكرة وجود نزيل سجن آخر فى العائلة .

فوبيــا : اهدأ يا أبى . لقد شربت فوق الكثير .

بيسلى : فى اســتطاعتى أن أشرب معكم حتى تفقــدوا الوعى أجمعين .

آرشى : يا عجبا ، لقد بدأ يتحول الى متدين الآن .

بيسلى : انى كنت أتناول نصف زجاجــة من البراندى ذى النجوم الثلاثة فى وجبة الافطار ...

آرشى : ورطــلا من البفتيك وفتــاتين من الكورس . سيحكى لكم القصة كلها فى لمح البصر .

بيسلى : (غاضبا) انى أترك فتيات الكورس لك أنت .

آرشى : لا شيء يعدل أن تقطع لنفسك شريحة جميلة من لحم الخنزير .

بيسلى : انى أفهم ما تعنيه .

آرشى : لا يأخــذك الهيــاج يا أبى . انك ســتوقظ البولنديين .

بيسلى : لا تحدثنى عن هذه الحفنة من القطط الملوثة . كان فى اســتطاعة أى بريطانى على الدوام أن يقضى على نصف دستة من هذا الصنف . ولكن الأمر لا يبدو كذلك الآن .

آرشى : حسنا ، لا بأس . لا تصسد علينا المأدبة ...

بيـــلى : انى متكفل بنفسى ، وهو أكثر مما فعلت طول حياتك . وأحب أن أقول لك انى تلقيت العلم فى واحدة من أحسن المدارس فى انجلترا .

آرشى : لقد خرّجت قائدا عاما ذا ميول فاشية قوية ، وشاعرا كاثوليكيا فاشلا وآرشى رايس .

بيـــلى : هل تعرف ماذا قال عنى جيمس آجيت ؟

آرشى : آوه نعم ... قال انك ومسز بات كامبـــل كنتما خير من تقلدانه من النساء .

بيـــلى : انك تعلم جيدا ما قال .

(آرشى يعلم بطول التجربة الى أى حد يستطيع التمادى وهـــو يحاول بلطف أن يدير الموقف) .

آرشى : نحن نعلم جميعا ما قاله ، وكل كلمة منه كانت حقـــا .

(بيلى يحدق فيه ويتحسس نظارته) .

آرشى : حسنا ، كنت أقول قبل أن يقاطعنى أبى الجاهل العجوز ...

بيـــلى : ليس هنـــاك ما يخجـــل فى أن تكون ممثـــلا

عجوزا . وهيهات أن تكونه أبدا ، انك لا تعرف معنى هذه الكلمة .

آرشى : أوه اذهب الى فراشك يا أبى ... فقد بدأ الحمق يغلب عليك .

بيـلى : كان من المتعـين أن تكون ذا شـخصية لكى تستطيع أن تصبح ممثلا هزليا فى ذلك الوقت . كان لا بد أن تكون حقا انسانا له اعتباره .

آرشى : سبب هذا الاحتفال الصغير أن غدا ... أوه بل اليوم على الأصـح ... يوافق عندى الذكرى العشرين .

فوبيـا : الذكرى العشرين ؟ أى ذكرى ؟

آرشى : الذكرى العشرين لعـدم دفعى ضريبة الدخل . فآخر مرة دفعت فيهـا ضريبـة الدخل كانت فى سنة ١٩٣٦ .

بيـلى : سيمسكون بخناقك فى النهاية . سوف ترى .

آرشى : وهو كذلك يا حبيبى ، يمكنك أن تغنى لنـا ترنيمة بعد قليل . انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة وانى لأستحق نوعا من الجـائزة عليه .

(لجين) ألا تعتقدين أن أباك العجوز يستحق جائزة ؟

جين : انى لأتساءل الآن كيف وصل بك الأمر الى أن تدفع ضريبة دخل فى سنة ١٩٣٦ .

آرشى : سوء الحظ . هذا كل ما هنالك . كنت حبيس المستشفى بسبب فتاق مزدوج ، وكان غاية فى السوء ومعقدا بشكل مريع حتى ظننت أن كل خططى للمستقبل ستنهار فى لحظة . على كل حال هذه مسألة أخرى سأرويها لك يوما ما . كنت هناك راقدا على ظهرى أتساءل هل بيرة باص * وحدها تكفى لأن تجعل الحياة جديرة بالبقاء ، واذا برجلين يرتديان القبعات المستديرة ومعاطف المطر ، ينقضان على من وراء الستار . وكانت هذه سقطة آرشى الوحيدة . كان يمكن أن تحصل لأى مخلوق . وأعتقد أن ممرضة العنبر قد وشت بى ، فكثيرا ما قالت لى أنها متزمتة جدا ، ولذا أظنها فعلت ذلك . واذ ذاك خضعت للقانون لحظة ، وكنت أمثل فى

---

* نوع من البيرة تصنعه شركة باص وشركاه .

« قصة المدينتين » . فلما قلت لها ذلك قالت « أوه نعم سمعت عنها ... (الى بيلى) كانت سيدة ايرلندية . « قصة المدينتين » ... أليست هى عن سادوم وعاموره ؟ »

(جين تبتسم . بيلى وفوبيا كفا عن الاصغاء) .

آرشى : احدى السيدات فى الصالة كان يبدو عليها الليلة أن الحفلة تروقها جدا .

فوبيا : حين حدثت مشادة بينها وبين جراهام .

آرشى : صحيح ؟ أوه أنا آسف . كان يجب أن أسأل ، أليس كذلك ؟ انى آسف يا عزيزتى . أخشى أن تكون رأسى قد دارت (يتلفت حوله) أعتقد أننا جميعا كذلك . أنتم كذلك .

فوبيا : لقد فسخت خطبتها .

آرشى : أفعلت ذلك حقا ؟ حسنا ، كان يجب أن أعتقد أن الخطبة شيء ريفى نوعا ما بالنسبة للمثقفين أمثالك . سيكون لك موتوسيكل وسايدكار فى المرة القادمة .

فوبيا : أوه كف عن التفكه بها يا آرشى . كن عاقلا ، ألا ترى أنها مغمومة .

جـين : لست مغمومة ، ولم أتخذ بعـد قرارا فى أى شيء . وانما جئت لأراكم جميعـا وأرى كيف حالكم لأننى اشتقت اليكم .

فوبيـا : أحقا . هذا جميل جـدا منك يا عزيزتى . انى أقدر هذا . أقدره حقا .

آرشى : انها تعلم أننى لا أتفكه بها .

فوبيـا : أوه بودى أن أعلم ماذا سيحدث .

جـين : لا تهتمى بشأنى . ألم تأتكم أخبـار من ميك الصغير ؟

آرشى : لا ، ان صاحبنا ميك يستطيع أن يعنى بنفسه . انه ولد غير معقد ، هذا الانسان . أتوقع أن يكون باذلا جهدا خارقا . أرجو ذلك على أى حال . ما الذى حدث بينك وبين جراهام ؟

بيـلى : لقد ذهبت ابنتك يوم الأحد المـاضى الى هذا السيرك الذى فى ميدان ترافلجار ، من فضلك .

آرشى : أوه ، أحقا ؟ أأنت واحـدة من أولئك الذين لا يحبون رئيس الوزراء ؟ أعتقد أننى أحببته جدا وذلك بعد أن سافر الى جزر الهند الغربية ليحمل نوويل كوارد على أن يكتب له مسرحية.

ومع هذا فلعل من هو من جيلي فقط يستطيع أن يفهم ذلك . هل يضايقك منه شيء ؟

فوييسا : أوه ، يا الهي بودي لو أعرف ما الذي سيحدث لنـا .

آرشي : عنـدي نفس الشعور بالنسـبة لذلك الكلب المريع الذي تحت السـلم . انه يخـرجني عن صوابي كلما نظرت اليه . هناك ثلاثة أشـياء تحدث هذا لي : الراهبات والقسس والكلاب.

فوييسا : أنا لا أحب أن يفرض على أن أعمل على الدوام . أعنى أنك محتاجـة لقليل من الحياة قبـل أن تنتهى كلها . انه ليذهب بكل بهجتها أن تعلمى أن عليـك أن تعملى وتعملى حتى يحملوك الى القبر فى صندوق . ان هذا يناسبه هو ، فهـو على ما يرام . مازالت عنده نسـاؤه ما دامت حياته باقية على أى وجه . ولكننى لا أريد أن أنتهى بأن يتولى دفنى غريب فى شارع قذر خانق صغير فى حى جيتسهد أو وست هارتلپول أو غيرهما من جحور موتى الأحياء .

جـين : فوبيا ، أرجوك ألا تدخلى الغم على نفسك ، فلنستمتع ....

فوبيـا : استمتع ؟ أو تحسبين أنى لا أريد أن أستمتع ! غاية ما فى الأمر أننى سئمت هذه العيشة القلقة المضنية ، وسئمت الناس من أمثاله .

(تبـكى) .

آرشى : أتمنى ألا تبكى النساء . أتمنى هـذا . حاولى أن تقولى لها شيئا ياجين .

جـين : (ذاهبة الى فوبيا) لمـاذا لاتستمتعين بحياتك ؟

فوبيـا : كنت أتمنى أن أسـتطيع . انمـا أتمنى أن أسـتطيع .

جـين : (لفوبيا) هيا يا عزيزتى . ألا تريدين الذهاب للفراش ؟

فوبيـا : بلى ، أظن ذلك يا عزيزتى اذا سـمحت . أظن أننى تجاوزت حدى قليلا. آرشى يعرف طبيعتى. اننى لا أستطيع احتمال الكثـير من الاثارة ، وأعتقد أننى ربما أكون متأثرة جدا برؤيتك ، فقد كانت مفاجأة سارة جدا . أو لعلى قلقة من

أجـل ميك بطريقة لا شـعورية ، فانى دائمة التفكير فى كل هذا القتال ...

آرشى : عليك بالنـوم قليـلا يا حبيبتى وسـتشعرين بالتحسن عندما تقومين .

فوبيـا : (تقف) وهـو كذلك يا عزيزى ، سـأذهب فالساعـة مـتأخرة على كل حال . كان ينبغى لأبيـك أن يكون فى الفـراش منذ ساعات ، سيكون غدا فى حالة سيئة . أجعله يذهب الى الفراش يا آرشى ، أرجوك .

آرشى : وهو كذلك . (لچين) اصعدى معها .

فوبيـا : (متوقفة) هل سـتأتى لتحيينى تحيـة الليل يا آرشى ؟

آرشى : نعم ، غاية الأمر أننى سأنهى احتفالى الصغير . انه عيد ذكراى ، لا تنسى .

فوبيـا : (تبتسم) انه مضحك .

(تخرج هى وچين) .

آرشى : (لبيلى) أتريد كأسا قبل أن تذهب للنوم ؟

بيـلى : لا ، شكرا . فقد أخذت الكفاية .

آرشي : هيا أيها العجوز الماكر (يصب كأسا) انى أعرف وجهك ، هذه هيئة الراغب فى التغنى بترنيمة .

بيلى : أتظن أننى لا أريد ؟

آرشي : أنا واثق كل الثقة انك تريد . هيا بنا نأخذ كأسا منعشا للقلب وبعدها فلنشرب ما بقى لديك من البيرة ثم تأو الى فراشك .

بيلى : وهو كذلك . سأغنى .

(يعتدل فى جلسته ويغنى) .

« الى الأمام أيها الجنود المسيحيون
السائرون وكأنما الى الحرب
وصليب اليسوع
سائر أمامكم
فيسوع السيد المملك
يحارب العدو
أماما فى المعركة ... »

(تعود جين الى الحجرة ويشتد التعب ببيلى فينقطع عن الغناء ويتحرك نحو حجرته) .

بيسلى : ليلة سعيدة يا چين . لقد سرتنى رؤيتك .سيكون لنا حديث غدا .

جسين : نعم وستأخذنى الى النادى . تذكر .

بيسلى : ليلة سعيدة يا ولدى .

آرشى : ليلة سعيدة يا أبى .

(يخرج بيسلى) .

جسين : أبى ....

آرشى : نعم

جسين : انك تسِرُّ شيئا فى نفسك .

آرشى : انك لا يفوتك شىء . أليس كذلك ؟ الملاحظة... هى أساس كل فن .

جسين : ما هو ؟ انى لأحس طول هذا اليوم بسقم غريب فى معدتى كما لو كان شىء ما سيحدث . أنت تعرف هذا الشعور .

آرشى : نعم أعرف هذا الشعور . لقد وقع ميك فى الأسر . ويبدو ألا أحد هنا يعلم بذلك . وقد نشر ذلك فى الصحف ، ولم يكن هناك محل للافضاء بالنبأ الليلة . وان غدا لقريب (يفتح

البرقية) انهم يحصلون عادة على هذه الأشياء قبل الناس الذين يعنيهم الأمر حقا . لقد عرفت ماذا يمكن أن تكون هـــذه (يناولها البرقيـــة ويتناول الصحيفة) يبدو أنه صرع عددا كبيرا من الخنازير برصاصه ، أليس كذلك ؟ وهنـــا صورة لصاحبك كذلك ، هـــذا الذى يخرجك عن صوابك ، انه يبدو جادا هذه المرة ، لعـــنه قلق على مصير ميك الصغير .

جسين : أظن أننى سأتناول شيئا من هذا .

(يدفع كأسها نحوها) .

ارشى : حسنا ، ميـــك لا يجب أن نقطـــع احتفالنـــا . ســـنشرب نخب ميـــك ، ولنضرع الى الله أن يسلم . ميك ومحصل ضريبة الدخل . بالنسبة لك هم رؤساء الوزارات ، أما بالنسبة لى فهى الكلاب . الراهبات والقسس والكلاب . ألم أخبرك أبدا بأعظم تحية قدمتها لنفسى ، أعظم تحية اكتنزتها على الدوام ؟ كنت أسير على طول الجبهة فى مكان ما ـــ يبدو كما لو كان هنا ـــ وفى يوم ما ، أوه ، أظنه منـــذ خمس وعشرين سنة ، كنت فى عز شبابى . نعم ، كنت أســـير على طول الجبهة لأقابل ما أظن أننا كنا نسميه

شيئا من الفرقعة ، أو لعله كان شيئا من الزغب المتطاير . لا ، كان هــذا أولاً . على أى حال أذكر اننى استمتعت به فيما بعد . ولكن المهم أننى كنت أسير على طول الجبهة من تلقاء نفسى كلية ، غــير ملق بالا الى شىء (ســـكوت) فأقبلت نحوى راهبتان (سكوت) راهبتان ...

(يقطع الحديث وقد بدا عليـــه التعب والشيخوخة . ينظـــر الى جين ويدفـــع الزجاجة نحوهـــا) .

آرشى : كلمينى .

ســـتار

نهـــاية الفصل الاول

اســـتراحة

(٦)

بيلى وفوبيا وجين.فوبيا محتقنةالوجه من الشراب

بيـــلى : أنا أعلم أنهـــم لا يستطيعـــون منعـــه . انهـــم لا يجرؤون .

فوبيـــا : يعود الى البيت خلال يومين .... لا أستطيع أن أصدق هذا .

بيسلى : انهم لا يجرؤون ، حتى فى هذه الأيام ... انهم حفنة من المـاكرين . ما زلت أذكرهم من قبل الحرب . كنت فى تلك الفرقة المسرحية اذا كنت تذكرين يا فوبيا ...

فوبيـا : ما الذى يريدون أن يحتفظوا بولد كهـذا من أجله ؟ هـذا ما ظللت أسائل نفسى عنـه . انه لا ينفعهـم بأى شىء . لا ينفعهـم بأى شىء ، أليس كذلك ؟

بيسلى : حفنـة من الأوغـاد المتنطعين . كنت أنزل فى الامباسادور كما تعلمين ، وأعطونى صـندوقا من سيجار روميو وجولييت .

جـين : (محوطـة بكوم من الصحف) حسنا ، لقـد اشتهر اسم رايس مرة أخرى .

بيسلى : كان طوله هكذا . لم أحصل على سـيجار مثله منذ سنين .

فوبيـا : انه يحب السيجار . أنا أشترى هـذه السجاير أحيانا . ليست الا شيئا رخيصا ، ولكن هـذا لا يهمه ، أليس كذلك ؟

بيــلى : بالطبع لا يهمنى . لقد أعطتنى چينى بعضا منها ، أليس كذلك . ماذا بك ؟

فوبيــا : أوه ، نعم . لقد نسيت .

بيــلى : لك عقل كالغربال القذر !!

فوبيــا : كنت مغفلة على الدوام فى المدرسة . اننى أفكر فى آرشى . لكم أخشى أن يخيب ظنــه ، وأن يســير كل شىء على غير ما يرام ، وانهــم لن يتركوا ميك يعود آخر الأمر .

بيــلى : لا تؤاخذينى يا فوبيــا ، انك تتحــدثين بألعن تفاهة قضى على أن أجلس وأصغى اليها طول حياتى .

جــين : لقد أعطوا تعهدا رسميا .

بيــلى : تعهد رسمى ، آه يا ظهــرى ... لو حسبت أن مستقبل هذا الولد متوقف على تعهدهم الرسمى لاستطعنا أن نقول لهم « شكرا جزيلا وليلتكم سعيدة » .

فوبيــا : (والصحيفة فى حجرها) لدينا طائرة محجوزة متأهبة للعودة به الى الوطن .

بيــلى : «تعهد رسمى» ... ألفاظ السياسيين بالضبط... انها ماكانت لتعنى شيئا لو صدرت من واحد منا.

جــين : (تقرأ) « يعيدونه للوطن » ... فى خلال ساعات قليلة لا بد أن يكون الجاويش رايس طائرا نحو الوطن فى طائرة خاصة من طراز داكوتا .

بيــلى : انهم يعلمون جيدا أنهم لا يجرؤون على فعل شىء غير هذا .

جــين : سيكون لنا بطل من أنفسنا ، تستطيع أن ترى أن ....

بيــلى : أى واحد منا كان سيفعل نفس الشىء . فليس فى أى واحد منا أى عيب ، ولم يكن فينا عيب أبدا . انكم لا تستطيعون بلوغ القمة جميعا ، ولا تستطيعون أن تصنعوا حظوظكم . أما أنا فكنت محظوظا على الدوام ، على الدوام . ولاحظوا أننى كنت طيبا أيضا . هذا السفير ، وكان اسمه سير كذا بيرسون ، لطيف ومن أحسن طراز على الاطلاق ، قال لى : اننى فنانه المفضل ، صارفا النظر عن جورج روبى .

فوبيــا : أى خير يجنونه من التمسك بغلام . انه ليس الا غلاما .

جـين : هذه الصحيفة تقول ...

بيـلى : انه محظـوظ . كنت محظـوظا على الدوام ، ولاحظوا انني كنت طيبا أيضا .

جـين : (تقرأ) « صرح الملازم بيرسون من لايسستر الذى كان مع الجاويش رايس قبـل وقوعه فى الأسر ببضع دقائق بأنه لا بد أن يكون قد قتل سبعة من المهاجمين على الأقل » .

بيـلى : قلت : ان اسمه بيرسون ...

جـين : وقال بيرسون « انه لا بد أن تكون ذخيرته قد نفدت قبل أن يحـاط به . لأن رايس الصغير ليس من الطراز الذى يستسلم » .

(سـكوت) .

فوبيـا : أنا لا أود أن أخيب أمل آرشى ، هذا كل ما فى الأمر وفوق كل شيء . لقـد لقى ما كفاه من خيبات وما أظنه سيعتاد عليها أبدا .

بيـلى : أنت ترين أنه بعد يومين اثنين سـيكون ميك جالسا هنا يحدثنا عن الأمر .

فوبيـا : أذكر أن أمى وعدتنـا مرة نحن الأطفـال أن

تأخذنا الى خيال الظل ، ولكن حدث شيء ما فلم تستطع أخذنا . لا أعرف ماذا كان ، ولعله لم يكن لديها نقود ، وكان دخول الصالة وقتهـا بستة بنسات . مسكينة أمي العجوزة ... لقـد أخذتنا بعد ذلك ، ولكن لم يبـد لي أنه نفس الشيء . فقد منيتُ بخيبة كبيرة ، وظللت أفكر في خيال الظل طوال بضعة أسابيع . لا ينبغي لك أن تبني في الهواء فستصاب بالخيبة الحقة على الدوام . وهذا مصدر متاعب آرشي . انه دائما يبني كل شيء في الهواء . ولا يتحقق له شيء أبدا .

بيسلي : انه أحمق .

فوبيسا : انه أطيب مما ينبغي لهم ، وهذا أساس متاعبه . فالناس لا يقدرونك حق قدرك . فلنفرغ هذه ، أليس كذلك ؟ سيحضر آرشي بعضا منها عنـد عودته .

بيسلي : لقد انتهى الأمر . قلت له منذ سـنين ، ولكنه لا يسمع ، انه لا يصغي لأحد .

فوبيسا : انك لا تستطيع أن تخطط لآرشي طريقه . حقا ، كل ما يطلبونه هو الاستمتاع الرخيص (الهين)

هيا قاسميني هذا ... ان علينا جميعــا أن ...
ما هي الكلمة ؟

بيــلى : لا أدرى عمّ تتكلمين .

جــين : نهادن ؟

فوبيــا : انها تعلم ما أقصد . بالضبط يا عزيزتى . أنت تثابرين وتثابرين وتبذلين أقصى جهدك ثم يأتى وقت لا تستطيعين فيه مزيدا من المثابرة . انه نفاذ الجهد ... أو هذا ما أظنه . انه ليس الا التعقل . (لجين) هل قال لك أى شىء ؟

جــين : عن ماذا ؟

فوبيــا : أوه ، عن أى شىء . انه لا يقول لى شيئا أبدا هذه الأيام ، كل ما يقوله لى ألا أشغل بالى ثم لا يقول شيئا . لقد أخبرنى فرانك أن الفرقة لم تقبض الا نصف أجر ليلة السبت ، وهو يعتقد أن عمال المناظر لا بد أنهم تشاجروا معه لأن ...

بيــلى : لقد قال لى انه سيحضر لى بعض السجاير . كان فى استطاعتى شراؤها بنفسى خلال هذا الوقت . أظن أنه فى الروكليف .

فوبيـــا : كلما سمعت طرقا على الباب لم أجرؤ على الرد خشية أن أجد شرطيا واقفا وراءه وبيـــده أمر قبض آخر .

جسين : (تقدم السجاير لبيلى) خذ واحدة من هذه .

بيـــلى : سوق اللحم العارى القذر .

فوبيـــا : ليس شعورا طيبا أن تخشى الرد على الباب .

بيـــلى : لسوف تجدين وراء الباب شرطيا حقيقيا ....

فوبيـــا : (متعبـــة لا متحـــدية) أوه ، لا تقاطعنى كلما تحدثت الى چين .

بيـــلى : (لچين بأدب) شـــكرا يا عزيزتى . (يتنـــاوله صحيفته) .

فوبيـــا : لقد أغضبته الآن .

جـــين : لا لم تغضبيه وانمـــا هو يقـــرأ ، أليس كذلك يا جدى ؟

بيـــلى : أوم ؟

فوبيـــا : أوه ، على كل حـــال ، ليس حسنا أن نقلق ، أليس كذلك ؟ تقول الصحف ان ميك عائد الى

الوطن ، ولا بد أنهم عليمون بهذه الأمور وهذا هو المهم حقا . اليك قليلا من هذا يا عزيزى .

بيلى : لا ، شكرا .

فوبيا : (لجين) املئى له كأسا . هناك واحد . أوه يا أبى ، انه يبالغ فى كل شىء ، ألست كذلك ؟ انه يبالغ فى كل شىء ولكنه على حق كما تعلمين. انه على حق فيما يتعلق بآرشى . ما من عدو له فى العالم ألحق به من الضرر مثلما ألحق بنفسه .

جين : هاك يا جدى .

بيلى : شكرا . سآخذه فيما بعد .

جين : لا تأخذه فيما بعد . اشربه الآن فهذا وقت الاحتفال . هيا اذن ولنشرب نخب ميك .

فوبيا : نعم فما ينبغى لنا أن نجلس هنا ونترك الحزن يتسرب الى نفوسنا . لقد كاد شرابنا أن ينفد، أليس كذلك ؟ أرجو ألا يطول مقام آرشى فى ذلك المكان .

جين : لقد ذهب فرانك معه ، ولن يطول غيابه .

فوبيــا : أوه ، سيعمل فرانك على ألا يعود الى البيت جد متأخر . فرانك ولد غافل ... انه عاقل أحيانا على كل حال . (لجين) أظن أنك أنت العاقلة الوحيدة فينا جميعا .

جــين : جدى لا يعتقد هذا ، أتعتقده ؟

بيــلى : ما هى الا حمقاء مثل بقيتكم .

فوبيــا : انه يضحك على نفسه . لديه دائما فكرة ضخمة يكسب بها المــال . منذ فترة ماضيــة كانت فكرة تقليد النساء . وكنا سنشكل فرقة ، هذا ما قاله آرشى على أى حال . غير أنه بمجــرد أن بدأ آرشى فيها ذهبت كلها هبــاء . والآن الروك آندرول . أوه نعم ، هــذا ما تحبــه النساء . انهن يسأمنه ويترددن هنا بضع مرات وهذا كل ما هناك .

بيسلى : لمــاذا لا تكفين عن صخبك اللعين ؟

فوبيــا : انه لا يحب أن أتحدث فى الأمر ، كما لو كانت تجهل ما يجرى هنا طول الوقت .

بيسلى : ومع هذا فليس من سبب يدعو الى التحــدث فيــه .

فوبيـــا : انها ليست بلهاء ، أأنت كذلك ياعزيزتى ؟

بيـــلى : لا أحب أن أسمع شيئا عنه ، ولا أظنها تريد .

فوبيـــا : وهو كذلك . وهو كذلك .

بيـــلى : لقد دَرَجتْ على مصاحبة النـــاس المهذبين . انها لا تود أن تسمع عن متاعبك .

فوبيـــا : لا بالطبع ، انها لا تريد .

بيـــلى : فليكن اذن ... ان عيبكم أيهـــا النـــاس أنكم لا تعرفون كيف تتصرفون على الوجه الصحيح، هذا عيبكم . اعطِ الفتاة فرصة فلديها حياتهـــا الخاصة لتحياها .

فوبيـــا : كل ما أردت أن أقوله لها ....

بيـــلى : وأنا أقول لك لا . ما من شيء تستطيعين أنت أن تقوليه لها . ولذا كفى عن صخبك ...

جـــين : جدى ، أرجوك ...

بيـــلى : لمـــاذا لا تعودين الى لندن لأصدقائك ؟

جـــين : فلنترك الجدل ...

بيـــلى : اننا لا نصلح لك ...

جـين : ما أظن أننى أريد العودة الى لندن ...

فوبيـا : انما كنت أتحدث اليها عن آرشى . أنت لاتودين السفر ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟

جـين : بالطبع لا أود ...

فوبيـا : انما أردت أن أقول فى معرض الحديث العادى أن آرشى لم يكن محظوظا ، هذا كل مافى الأمر .

جـين : هيـّـا ... (تضع زجاجـة صـغيرة من الجن على المـائدة) .

فوبيـا : واذا كنت قد ذكرت النسـاء فلمجرد أنه كان نفس الشىء معهن ، وما اهتممت لهذا أبدا فى كثير ، لم يكن يعنينى أبدا بقدر كبير حتى أيام شبابى . ومع ذلك فاننى أظن الرجال على خلاف ذلك ، فانه أكثر أهميـة عندهم . أوه ، أنظر ماذا فعلـتَ !!

جـين : أعتقدت أن الأفضل أن أحضر شـيئا منه اذا ما تأخر أبى .

بيـلى : ماذا تظنين انك مفروض أن تكونى ...مليونيرة؟

جـين : ولكنك لن تشربى شيئا حتى تتنـاولى بعض

الطعام ، فأنت لم تأخذى غير الشاى والسجاير منذ أيام .

فوبيــا : لا أستطيع آكل أى شىء يا عزيزتى ، شرفاً .

جــين : سأحضر لك شيئا .

فوبيــا : لا ، لا أستطيع ، لا أستطيع ... وفّريه .

جــين : (تتحرك) لن أناقش ...

فوبيــا : چين ، لقد رجوتك ... لا أستطيع . لا أريد شــيئا .

جــين : ولكن على الناس أن يأكلوا يا عزيزتى . اذا لم تتناولى شيئا ...

فوبيــا : (ضحكة خفيفــة) تقول ان على النــاس أن يأكلوا . هذه نكتة حلوة .

جــين : انك لاتستطيعين أن تستمرى على هذا ياعزيزتى .

(ينهض بيلى وهو يهمهم بأغنية الصخرة ويذهب نحو اليسار) .

فوبيــا : على الناس أن يأكلوا . هذا ما قالته فهل سمعته؟ أين ذهب ؟

جــين : ذهب الى المطبخ .

فوبيـا : ليس هذا هو كل ما عليهم أن يفعلوه . انه عليهم أن يفعلوا الكثير من الأشـياء التى ليس لديك حتى مجرد العلم بها ، والتى لا علاقة لها بأن تكونى متعلمـة أو ما أشـبه ذلك . ولمـاذا تحيطين بها ؟

جـين : أعلم يا حبيبتى أن الظروف أصبحت صعبة ، ولكن كونى عاقلة ، عليك أن تثابرى .

فوبيـا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة ياچين .

جـين : آسفة يا عزيزتى . لم أقصد أن ...

فوبيـا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة . انك فتاة حلوة يا چين وأنا جد مغرمة بك . ولكنك حتى لست ابنتى . لن أقبل هـذا من ميك أو فرانك مع أنهما ولداى .

جـين : وهو كذلك ، فلتنسيها . لم نشرب نخب ميك حتى الآن .

فوبيـا : لا ... لا تبالغى فى الافتراضات .

جـين : فوبيا ، أرجوك ... أنا ...

فوبيـا : لا تبالغى فى الافتراضات . ما الذى يفعله هناك ؟

جـين : لعله يحضر لنفسه شيئا يأكله على ما أعتقد .

فوبيـا : لا أريده أن يوقع الفوضى هناك . انه يعلم أنى لاأحب أن يذهب الى هناك . انه يترك كل شىء فى حالة فوضى كبيرة .

جـين : هيا ، خذى هذا .

فوبيـا : لماذا لم يعد آرشى ؟ أليس المفروض أن يعود الى هنا ليحتفل بعد ما سمع أن ابنه بخير وأنه فى طريقه الى الوطن ؟ اننى لا أفهمكم ... أيها الناس ...

جـين : هيا يافوبيا ، لاتدعينا ندخل فى شجار ، ومن أجل لاشىء ... هذه حماقة .

فوبيـا : انها ليست حماقة . ومع هذا من الذى قال اننا فى شجار . كل ما قلته هو أننى لست جائعة ، فثرت على .

جـين : لم أثر عليك .

فوبيـا : أيها الناس ... انكم جميعا سواء .

جـين : صدقينى يا فوبيا . أنا لم ....

فوبيـا : لا أستطيع أن آكل لأننى أحس بالغثيان .

جسين : حسنا ، انتهى الأمر اذن .

فوبيا : أنت لا تعرفين ما هى المسألة . أنت لا تعرفين ما هى المسألة لأننا حاولنا أن نفعل بك أقصى ما نستطيع . أوه ، لقد حاول آرشى أن يفعل بك أقصى ما يستطيع ولو أن ذلك لم يوصل الى الكثير ، لا لأنك لم تكونى فتاة طيبة ، فلقد عملت بكل جهدك واستحققت النتيجة ، حاولت على الدوام ونلت الثمرة وهى أكثر مما حصل عليه أى منا يا عزيزتى . فأنت الوحيدة التى نجحت بيننا . أنت وميك الصغير والرجل العجوز طبعا . لقد نالها . لست أعنى أن لها فائدة عنده الآن . فما هو الا قطعة من الماضى على ما أعتقد . ومع هذا فلأن يكون المرء قطعة من الماضى خير من ألا يكون أبدا . وكذلك ابنه الآخر ... بيل الكبير ... أخو آرشى . لا تظنى أنه أصبح ماضيا ، فهو شخصية كبيرة حقا الآن . انه شخصية كبيرة حقا . لا شائبة على الأخ بيل .

جسين : (محاولة تغيير الحديث) انه محام ... ولذا فأنت تحبينه كثيرا . انه يشبه ممثل السينما

ذلك الذى يظهر دائما بشعر مستعار ورداء فى كل ...

فوبيا : أنا أحبه لأنه سيد مهذب . انه مختلف عن أبيك حتى وان كانا قد ذهبا الى نفس المدرسة وما إلى ذلك . أحبه للطريقة التى يعاملنى بها . انه يتحدث الى فى لطف . والطريقة التى ينادينى بها « فوبيا » ، يجب أن تسمعى طريقته فى مناداتى « فوبيا » .

جين : لم أره غير مرتين .

فوبيا : نعم رأيته بالطبع . لم يوافق على الطريقة التى سار عليها آرشى . لم يوافق عليها أبدا . كان فيما مضى يحضر أحيانا لزيارتنا وكان دائما يضع فى يدى ورقتين من ذوات الخمسة جنيهات قبل أن يخرج قائلا « لا تقولى كلمة لآرشى » وكنت أحار كيف أجيبه . كنا نسكن دوما فى بيوت حقيرة ، ولم أكن أحبه أن يجىء . كنت أشعر بالضعة . لم يستطع أبدا أن يحضر زوجته ولم أعرف أبدا ماذا أقول . وبعد هذا تشاجر هو وآرشى حول شىء كان آرشى يفعله ، اما أضاع ماله أو فقد عمله . وأذكر أنه

جاءنا مرة وكنت أنا وآرشى لا نملك حبة ، كنا نعيش على قطع من لحم الخنزير نشتريهـا بنس من الجزار ، وعلى ما كنا نحصل عليـه اذ ذاك من المحكمة (تخطىء فى نطقها) وكنت والأولاد تعيشون مع الرجل الكبير وقتهـا . كان آرشى يأبى أن يأخذ نقودا من أبيـه اذ ذاك ... ربما بسبب غيرة المهنـة ، لا أدرى . على أى حال علم بيل أن آرشى وقع فى شـدة مرة أخرى لا أذكر ماذا كانت ، ولكنه كان أمرا خطيرا هذه المرة على ما أعتقـد ، اذ حاول أن يصرف شيكا مزورا أو شيئا من هذا القبيل . أنا أسلم أن آرشى لم يكن ليفعل مثل هـذا لأنه لم يرتكب طول حياته عمـلا منافيا للأمانة من هذا النوع . مهما تكن بقية أعماله . لا بد أنه كان سكران . على أى حال جاء بيل الكبير، وكنا نعيش فى بركستون وقتئذ ، وعبث الأولاد الذين كانوا فى الشارع عبثا مريعـا بسيارته ، فما كانوا يرون فى ذلك الشـارع كثـيرا من السيارات ، اللهم الا سيارة الطبيب . لم ينطق بكلمة . عندما ذهبنا الى الباب ورأيت ماصنعوه بها تسمرت قدماى ، وشعرت بأشد الخجـل

وانفجرت باكيـــة . فربت على ذراعى بطريقته وقال لى « أنا آسف جدا يا فويبا . آســفه حقــا . وأخشى أن تظل الأمــور كذلك على الدوام » . على أى حال لقد أنقــذ آرشى من الورطة التى كان فيها ، وهذا ما كان . ليست النقود ولا مساعدته لآرشى ــ مع امتنانى لهذا بالطبع ــ هى المهمة ، بل الطريقــة الهــادئة المهذبة التى كلمنى بها . والطريقة التى ربت بها على ذراعى .

جـــين : نعم ليس هذا بمستغرب منه .

فويبـــا : ماذا تقصدين ... ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جـــين : أوه لاشيء ياعزيزتى . فلنكف عن الكلام فيها...

فويبـــا : ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جـــين : أوه ، مجرد أننى أستطيع أن أرى الأخ بيـــل يربت على ذراعك ، ويضع تلك الجنيهـــات العشرة فى يدك ، ثم يذهب فى سيارته ليتنـــاول العشاء فى ناديه . هذا كل ما هناك يافويبـــا . والآن فلنكف عن الكلام فى الأمر نهائيا .

فوبيـــا : أتقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى ، أليس كذلك ؟

جـين : لا ، لا أقصد هذا .

فوبيـــا : هيا ، قوليها ... تقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى أليس كذلك ؟

جـين : لم أقل هذا ، ولم أقصد هذا . والآن هيا ...

(يدخل آرشي وفرانك . فرانك ولـد شاحب خجول فى التاسعة عشرة تقريبـا وقد سمح لنفسـه أن يقوم بدور مرافق آرشي لمـا يبـدو فى هـذا من دفء ومن علاقة معقولـة تناسب كليهمـا . وهو عاطفى مملوء بالحنان الذى يفيض بسهولة وهو صغير ولعله سوف يظل كذلك) .

فوبيـــا : أريد أن أعلم ماذا كنت تقصدين .

آرشى : يا عزيزتى ، لا يستطيع النـاس أن يقولوا لك ماذا يقصدون . كان يجب أن تعرف ذلك الآن .

فوبيـــا : أقفل فمك لحظة يا آرشى ... أنا أكلم چين وهى تعلم ما أقصد . أنت تعلمين ما أقصد ، أليس كذلك ؟

آرشى : هل تعلمين ما تقصد ؟ أرجو من الله أن أعلم .

(لفرانك) أرى أنه كان خيرا لنا أن نبقى حيث كنـــا .

فوييـــا : هل أخبرك بشيء ؟

جـــين : فوييا ، ماذا أنت فاعلة ؟

فوييـــا : هل أقول ؟

جـــين : كل ما فى الأمر اننى أعرف بالضبط كيف ربت عمى بيل على ذراعك ... بنفس الطريقـــة التى كان يعامل بهـــا الجنود فى الكريستماس عندما كان فى الجيش . وكم هو ديمقـــراطى ، وكم هو لطيف ، وكم هو انجليزى .

آرشى : أوه ، بيل لا غبـــار عليـــه . وانما هو لا يفهم أمثالنا من الناس ، وهذا كل ما هنالك . وأكثر من هذا أنه لايريد . ولا لوم عليه فى الحقيقة .

فوييـــا : (لجين) انك لا تحبينه ، أليس كذلك ؟ أنا أعرف أنك لا تحبينه .

آرشى : كمثـــل هذا . أوه ان أخى بيل لايستطيع أن يفهم هذا أبدا ، سيتضايق بشكل مريع ، أليس كذلك ؟ ناولنى هذا الحامل يا فرنكى يا حبيبى.

فوبيـــا : انك لاتسـتطيع أن تحبه ،فانت مدين له بالكثير .

آرشي : أراني مضطرا لأن أقول ان هـــذا سبب كاف جدا لعدم حب أى انسان .

فوبيـــا : انه شيء لن يمكن أن تكونه .

آرشي : وأنا شيء لن يمكن أن يكونه ... بيـــل الطبيب الكبير . قد يكون ناجحا ولكنـــه ليس من النوع الرديء . هـــل تعلمين أن أخى بيـــل له زوجة واحدة ، ولم تكن له علاقات غرامية ، وله ثلاثة أطفال لطاف موهوبون ، حصل اثنان منهم على درجات مرتبة الشرف فى كامبريدج وانهم جميعا حققوا ما يسميه الناس زيجـــات ناجحة جدا .

فرانك : أى شيء على وجه الأرض هذا الذى تتحدثون فيه جميعا . هالوچين حبيبتى . ظننت أننا سنقيم مأدبة .

(يلقى ذراعيه حولها ويقبلها) .

آرشي : هذا حق جدا . لقد قرأتها فى صحيفة التلجراف اليوم . لقد مللت من طـــول ما قرأت عن ميك الصغير ، وهناك فى الوسط ...

جـين : (بتطلع) لا تقل انك قرأت ....

آرشي : بالطبع قرأتها ، وهل من وسـيلة أخرى لأعرف أن أقاربي تزوجوا أو توفوا أو أنجبوا أولادا .

فرانك : كما كنت أقول ...

فرانك : قبل أن تقاطع بهذه الغلظة .

(يقبل جين بحنان مرة اخرى) .

آرشي : نعم قبل ذلك . سونيا الصغيرة تزوجت .

جـين : ممـن ؟

آرشي : أوه ، ابن أحد رجال الصناعة الكابتن « تشارلي رد الفعل الخلفي المزدوج ـ شرطه ـ تحميل الكسـور ـ جـور ، مـن ألم لودج ، شروكيسبري ـ جلوسستر » . أين جميع الأكواب بالله عليكم ؟ يالبيل الطيب العجوز ، لقد حصل على كل ما يبتغيه الآن بما فيذلك الكابتن « تشارلي رد الفعـل الخلفي المزدوج جور » .

فوبيـا : آرشي ، اني أكلم جين .

آرشي : نعم ، أظن أن هذا ما كنت تفعلين . وانما لخصت الموقف في لمحة .

فوبيـا : أوه ، من السهل على النـاس من أمثالك أن يمزحوا . لقد تركت المدرسـة وعمرى اثنـا عشر عاما .

آرشي : وحق المسيح ، لو قالت لى هـذا مرة أخرى فسأصعد الى السطح وأصرخ . لم أفعل هذا أبدا من قبل .

فوبيـا : كانت المصروفات ست بنسـات فى الأسـبوع اذ ذاك .

فرانك : اتركها وشأنهـا يا ابن الحرام العجوز . هيـا يا ماما ، سنقيم مأدبة .

فوبيـا : انى أكلم چين .

آرشي : نعم ، لقد دخلنا على هذا . ولكن لمـاذا لانكلم چين جميعا . اننا لانراها كثـيرا . فرانك ... كلم چين .

فرانك : بابـا ....

(يومىء نحو فوبيا مبتئسا اذ يراهـا على تلك الحـال ولكن آرشى الذى جـاء متأهبا لأن يكون مرحا قد تعب وبدأ يتخلى عن الموقف) .

آرشي : فلنشرب كأسـا أولا . اذا أريد لى أن أكون

دبلوماسيا جدا أو كيسا جدا فلابد أن أشرب الكثير أولا .

فوبيـــا : كان علينا أن ندفع ستة بنسات فى الأسبوع ، وفى معظم الأسابيع لم تكن أمى تجدها ...

آرشى : هذه دولة احسان يا حبيبة قلبى . ليس فيهـــا محتاج ولا من ليس معه . الكل مكفولون .

فوبيـــا : كنت خارجة أكنس حجرة طعام ا ...

آرشى : كلنا على ما يرام . ميك الصغير على ما يرام ؛ وبيل على ما يرام . انه لم يترك نفسه يدخـــل السجن على يد حفنة من الخنـــازير . وفرانك على ما يرام ... لن يوقد الغلايات بعد هذا ... أليس كذلك يا ولد ؟

فرانك : أريد أن تسكتا كلاكما .

آرشى : وچين على مايرام . ستتصالح مع جراهام وتنسى حماقة ميدان ترافلجار ورؤساء الوزارات الذين يشبهون الكلاب تحت الدَرَج . اليك هـــذا يا عزيزتى . (يقدم كأسا لفوبيا) .

فوبيـــا : أنت لاتفهم ....

آرشى : بل أعلم . كانت فوبيـا تكنس حجرة طعـام خمسمـائة طفل وهى فى سن الثانيـة عشرة . أليس كذلك ؟

فوبيـا : أوه ....

ارشى : اليس كذلك ؟ هل عند أى واحد منكم فكرة كم مرة حكت لى عن هؤلاء الخمسمائة طفـل وعن حجرة الطعام هذه .

فرانك : أوه . اسكت .

آرشى : أجل يابنى . سأسكت . ناول هذا لجين . تبدو كما لو كانت قادرة على تناوله .

(يقوم فيعطى كاسا لجين ويظل واقفـا بجوار الكرسى الذى عند الباب الأيسر) .

جـين : أقـدر .

فرانك : كنت غائبة عنا زمنا طويلا . فكل ليلة هى ليلة احتفال .

آرشى : أو تدرين لمـاذا ؟ أتدرين لمـاذا ؟ لأننا موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ، كل مجموعتنـا المحترقة . نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بهـا

أحد أبدا . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شيء يتندر به النـاس لأننا أبعـد ما نكون عن الحياة اليومية العـادية للبشر . وليس فى هذا ما يبعث على المتعة بل هو باعث على الملل لسبب بسيط هو أننا لسـنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض . نحن لا نماشى أى شيء . نحـن لا نوفق أبدا فى أى شيء . نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنـا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة . مثل هذا الشيء المسكين الكريه العتيق الذى هناك . أنظرى اليها . ماذا تستطيع أن تفعله مع انسان مثلك ؟ انسان ذى ثقـافة وفلسفة . لقد أفقدتها الخمر صوابها وبدأ عقلها الغائب المتخلف الجامد يعدو لأن مجرى دمها ملىء بالكحول الذى لا أملك أن أقدمه لها . وسوف تفرض علينا أن نصغى لكل نوع من التفاهات الممجوجة التى سمعناها مئات المرات من قبل . انها تزحف نحو الشيخوخة فهى قلقة عمن سيتكفل بها حين تعجز عن العمل ، وهى خائفة من أن تنتهى الى صندوق طويل فى مدفن

شخص غريب فى جينسهد أو لعلها وست هارتلبول ؟

فوبيا : عم يتكلم ؟

آرشى : ستقول لك ان أخى الكبير بيل دفع جميع نفقات تعليمك . هذا ما تريد أن تقوله لك يا چين ، وأن المنحة الدراسية لم تتكفل بالأشياء ذات الأهمية الحقيقية كالكتب والانتقالات والملابس وسائر البقية . كل هذا دفعه بيل لكم جميعا . وفرانك يعلم هذا ، أليس كذلك يافرانك ؟ آسف يافوبيا . لقد أحرقت حكاياتك . ان آرشى العجوز يستطيع أن يحرق كل ما فى جعبة أى مهرج من الحكايات ان شاء .

فوبيا : انها لا تعلم شيئا عن ميك أو عنك أو عنى . أعرف أنها لا تعلم .

آرشى : سوف تكتشفه . كلنا نكتشف هذه الأشياء بمرور الوقت (لفرانك وچين) لقد تعبت وأشرفت على الشيخوخة . تعبت ، وتعبت منى . لم يمنحها بشر طول حياتها قدر بنسين من الذخر اللهم الا شخصها التافه الذى لا تستطيع تقديم

أى شىء غيره لهذا العالم . كل ما أعطى لها هو أنا ، وبالله ، لقد تعبت من ذلك !! أليس كذلك يا حبيبتى ؟ ألم تتعبى من ذلك ؟ .

فوبيـــا : (بعنف) لقد حاولت أن أصنع شيئا من نفسى. حاولت . حاولت يقينا . لم أكن على كثير من جمال المنظر ، ولكننى جعلت نفسى ما كنت . كنت طفلا عاديا ... لا لم أكن . لم أكن حتى هذا . كنت أكأب طفل قذر رأيته فى حيـــاتك . لم يقع بصرك أبدا على أحد أشد قبحـــا مما كنت ، ولكننى صنعت شيئا من نفسى . حاولت أن أصنع شيئا . جعلته يريدنى على كل حال .

فرانك : كلكم تتصـــايحون !! من فضلكم ، فليتكلم أحدكم بهدوء مرة واحدة . ســيكون هؤلاء البولنديون الأقذار هنـــا فورا . فلنتعـــارك . يبدو أننا سنتعارك على أى وجه . ولكن ألا يمكن أن نتعارك فى هدوء من فضلكم !!

آرشى : كان ذلك منذ زمن بعيد . انهم يعلمون أنه كان من زمن بعيد . (لفرانك) أرجو أن تكف عن الصـــياح ، انى لا أستطيع أن أسمع صـــوت

سراخي . غن لنا احدى أغنياتك . هيا أيها الولد اللطيف . أين الرجل العجوز ؟

جين : فى المطبخ ؟

فرانك : بيلى ، تعال هنا . ماذا يفعل هناك ؟ شيء سرقته من محل الكامبريدج ؟ ألم تجده أبدا على منضدة المطبخ ، كقطعة من اللحم على (قورمة) أو تقطيع شرائح من فخذ الخنزير . (لجين) ألست راغبة فى العودة الى جراهام ؟

فوبيا : فرانك ، انه سيحضر احدى النساء ، أليس كذلك ؟ سيحضرها هنا ، أليس كذلك ؟

آرشى : اتركها وشأنها يا بنى .

(يجلس الى اليسار على الكنبة المجاورة للباب الأيمن) .

فوبيا : ألا تعلمون اننى أنام متيقظة فوق وأسمع مايجرى ؟

آرشى : بالطبع يعلمون . انهم يعلمون أى نوع من أولاد الحرام أنا يا حبيبتى ، أظن انهم يعلمون تقريبا . نعم ، كما تعلمين تقريبا ، ستكون على ما يرام ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟ أين الرجل العجوز ؟

(لفرانك وچين) والآن لا تزعمــوا أنــكم لم تتعودوا هذا .

(يظهر بيلى) .

ها أنت أيهــا المــاضى العجوز . هل أحضرت لنا شريحة من فخذ الخنزير ؟

بيــلى : ما الذى جرى لكم جميعا ؟

آرثى : انــا جميعــا ننتظر مجىء العــربة الصــفراء الصغيرة ...

بيسلى : هل أحضرت سجايرى ؟

آرثى : فيما عدا چين ما زال هناك أمل فيها . انتظر أيها العجوز ، ستقرأ فى القريب عن حفيدتك والمستر جــراهام شىء من ألم لودج فى شرو كسبرى جلوستر . هيا خذ .

(يرمى السجاير لبيلى ويقدم له كأسا) .

فوييــا : كنت تأكل من الكعكة .

بيــلى : مــاذا ؟

فوييــا : كنت تأكل من كعكتنى . كنت تأكل من كعكتى، اليس كذلك ؟

بيــلى : (متجهما) كنت جائعا ...

فوبيــا : تلك الــكعكة كانت لميك . كانت لميــك ولم تكن لك .

بيــلى : آســـف ...

فوبيــا : لقد اشتريتهــا من أجل ميك . كانت له عنــد ما يعود الى البيت .

آرشى : حسنا لا بأس .

فوبيــا : ماذا تعنى ... بقولك لا بأس ! !

آرشى : ميك لن يهتم .

فوبيــا : ولكننى أهتم . أنا لا أريد أن يدخــل هــذا المطبخ . قــل له أن لا يدخله . انهــا ليست بالشيء الكثــير ، وهى ليست لى ، ولكننى أهتم بها جدا ، لمــاذا لم تتركها وشأنها ؟

بيــلى : لقد تصورت ...

فوبيــا : ألم تستطع أن تتركها وشأنها ؟ انهــا لم تكن لك . ماذا جــرى لك ؟ اننى أطعمك ، أليس كذلك ؟ لا تظن أنك تعطينى مبلغا كافيــا من المــال كل أسبوع ، لأنك لا تفعل هذا .

أرشى : فوبيا ، انس هذا الموضوع .

فوبيــا : لن أنساه ، لن أنسى شيئا . لن أنسى شيئا حتى لو نسيت أنت .

آرشى : حسنا ، اشتر واحدة أخرى .

فوبيــا : آه ، ستشترى أنت واحدة أخرى ، فانت غنى جدا . انت ناجح نجــاحا عظيما . ماذا تكون كعكة صغيرة ... سنطلب دستة منها !! لقــد اشتريت هذه الكعكة وكلفتنى ثلاثين شــلنا . كانت لميك عندما يعود لأنى أريد أن أقدم له شيئا ، شيئا أعلم أنه سيسر به بعــد أن كان حيثما كان وقاسى ما قاسى . والآن فان هــذا الخنزير الشره القذر العجوز ــ وكأنما لم ينل كفايتــه من كل شيء ــ يذهب فيغرس أصابعه الغليظة فيها .

(تعجز عن تحمل هــذا فتنفجر باكية . بيلى يقف خجلا فى شــدة الالم مما قالتــه رغم أنه يدرك فى غير وضوح الحالة التى هى فيهــا . يضع الكأس الذى كان يشربه والسجاير) .

بيــلى : معذرة يا جين .

(يتجه الى غرفتــه ويخرج) .

فوبيـا : ليس عندك من سيحضر الليلة . أليس كذلك ؟

آرشى : أظنه أخذ أكثر من أى واحد منـا ، وتمتع بما أخذ . حظ سعيد له . ومع ذلك ما كان لك أن تفعلى هذا . لا ، لن يحضر أحد .

فوبيـا : أوه ، آسفة يا آرشى . حاول أن تسامحنى ...

آرشى : ليس معنى هذا اننى لا أريد أن يكون هنـاك من يحضر . ولـكنك ستعلمين حينئذ . هيا يا حبيبتى ، تمالكى نفسك . هذا ما كان ينبغى أن نفعله منـذ سنين . ان نتمالك أنفسنا . فلنتمالك أنفسنا . (يغنى) فلنتمالك أنفسنا ، أنفسنا ، أنفسنا ، فسنكون أسعد حالا * .

فرانك : هذا حق أيها الشباب... تذكروا اننا بريطانيون.

آرشى : هذا ما يفعله كل منا . انه بسيط جدا . لقـد عرفته على الدوام . هذا ما كان أخى الكبير بيل يقوله لى دائما ... والآن فلنملأ كؤوسنا ونسعد. ماذا عن ميك ، اه ؟

---

* الأصل : Let is pull ourselves together, together etc.
ا يريد به الكاتب معارضـة الاغنيـة المشهورة
(The more we are together, together, together, the happier we shall be).

فرانك : نعم ، ماذا عن ميـك . لا يستبد بك الحـزن هكذا يا چين . انت تعلمين ما نحن عليه .

جـين : أحقـا ؟

آرشي : لا بأس ، فمـا من سبب يدعوها لأن تحزن ، على حد قول فوبيا . كلنا منقبضون قليـلا ، وهذا معناه أننا أبعد قليلا عن الانسانية ممـا اعتـدنا أن نكون . (لفرانك) أليس هـذا صحيحا يا حضرة وقاد الغلايات العظيم . أراهن أن المرضى فى ذلك المستشفى قد تجمدوا جميعا حتى الموت ... لا بد أنه وفر الألوف على هيئة التأمين الصحى .

فرانك : (لفوبيا) هل تحسين انك على ما يرام الآن ؟

فوبيـا : لعل چين لا تريد أن تأخذ كأسا ، أو تعلم لماذا ؟

آرشي : لا . لمـاذا ؟

فوبيـا : لانى لا أظن أنهـا تكن له حتى مجرد الحب . لا أظنها تحب ميك .

آرشي : ما من سبب يدعوها لحبه . ولكن هذا لا يمنعها أو يمنعنى . فرانك ، ادخل وتكلم مع الرجـل العجوز واحمله على العودة (يتجه نحو عقـد

الباب الأيمن) سنحاول أن نكون عاديين قليلا ولو مرة ، وتتظاهر باننا أسرة سعيدة محترمـة مهذبة ، اكراما لميك.فانى لأظن ـ كما تعلمون ـ أنه يحب ذلك حقا من وجـه ما . أنا واثق من أنه يعتقـد اننـا فى منتهى الفظاعة ، ألعن من الخنازير فى الواقـع ، لا تبتئسى يا چين فلن يكون عليك أن تصمدى لمثل هـذا طويلا ... أكثر من ميك . وهذه حفلة ميك . فوبيا ، هيا فلنشاهد شيئا من رقصك (يلقى بهذه العبـارة بطريقته المعتادة العرضية المدروسة) انها تجيد الرقص ، أليس كذلك أيهـا الشيء المسـكين العجوز . انى لأتساءل هل ستحملنى على البكاء الليلة . سوف نرى . يا فرانك غنّ لنا أغنيتك .

جـين : أنا لا أعرف حتى كنـه احساسى ، أو حتى اذا كنت أحس أبدا .

آرشى : لا بأس يا عزيزتى . أنا كذلك لم أعرف هذا منذ سنين . لقد توفاك الله منذ زمان طويل يا مستر ميرفى ، فلنجعلها احتفالا . ان ميك الجنـدى عائد الينا ، فلنعلنها بأعلى صوت .

(ستـار)

(٧)

(موسيقى — يظهر آرشي ووجهه مشرق بابتسامة مصطنعة ، جامد وراء عينيه . ومن آن لآخر ، ولمدة ثانية او ثانيتين ، يبدو عليه بشكل طفيف جدا انه مندهش تقريبا اذ يجد نفسه حيث هو) .

آرشي : اسمعوا اسمعوا اسمعوا . لقد رأيت لتوى رجلا بليمونة ملتصقة بأذنه . ليمونة ملتصقة بأذنه . فذهبت اليه وقلت له « ماذا تفعل بهذه الليمونة الملتصقة بأذنك ؟ » فقال « أتعرف ذلك الرجل الذي يستخدم السماعة ... أنا الرجل الذى يستخدم الليمونة » . أشكركم على ما صدر منكم من تنفس عميق . كان ينبغى أن تسمعوا ماذا قال جيمس أجيت عنى . (راجعا) ولكن عندى صبر يا سيدتى أليس كذلك ؟ عندى صبر . نعم . تظنوننى موجودا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، أنا لست موجودا . ولكنه موجود . هيا هيا . هل حكيت لكم حكاية الزوجة ؟ هل حكيت ؟ زوجتى ... انها ليست غبية فحسب ، ليست غبية فحسب ، بل انها باردة أيضا . أوه

نعم ، باردة . قـد تبدو جميلة ولكنهـا امرأة شديدة البرود ، زوجتي . باردة جـدا . باردة كان من المتعين أن تكون حقا انسانا له اعتباره . وغبية . انها ما يسمونه « مارون جلاسـيه » . لا تصفقوا بشدة فالمكان قديم جـدا . حسنا ، عندى صبر ، أليس كذلك ؟ نعم ، عندى صبر . أنظروا الى ... كله حقيقى كما تعلمون . أنا ... كلى حقيقى ، لست خيـالا . لا تعتقدون اننى حقيقى ، أليس كذلك . حسـنا ، أنـا لست حقيقيا . (يتعثر) لن أحرمكم من المتعـة التى أعلم انكم تنتظرونها جميعا . نعم سأغنى لكم . سأغنى لكم أغنية صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها بنفسى . لم أسجلها ولهذا فاذا أعجبتكم قولوا لهم. انهم لن يصغوا اليكم ولكن قولوا لهم.أغنية صغيرة اسـمها « فتاتى مقطوعة الأنفاس دائما ولكنها لاتمانع فى اعطاء ضربة قوية » . (يغنى)

الآن ما أنا الا انسان عادي
مثلك انت هنـاك
لست مفتونا بالنساء ، لست زير نساء
لا أهتم بهن حقا أبدا
أنا ما تسميه معتدلا ،

أزن كل ما للأمور وما عليها .
أنا لا اضغط وأقلب
فى ذلك الشيء الذى يسمونه الحب
أنا لا أدخل أبدا من أجل الدخول .
أحمد الله اننى عادى ، عادى عادى .
أحمد الله اننى عادى .
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
أحمد الله اننى عادى ،
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
مهذب وحكيم ،
أنا لست واحدا من المثقفين المتزمتين .
لأننى واثق من أنكم ستوافقون
على أن انسانا مثلى
هو ملح وطننا العزيز العريق .

(يسلط ضوء مناسب . يستمر) .

ولكن عندما يهدد تراثنا
فى الوطن أو عبر البحار

(تعزف مقطوعة «أرض الأمل والمجد») .

فان الشباب من أمثالنا ... نعم أنتم وأنا

هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر.
يقول بعض الناس أننا انتهينا ،
يقول بعض الناس اننا أصبحنا في خبر كان
ولكننا لو وقفنا جميعاً

(الأضواء تكشف وراء الستار الخفيف عن فتـــاة عارية تحمل على رأسها خوذة بريطانيـــا وتمسك كلبا من نوع البولدوج وحربة مثلثة الطرف) .

الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة
فان المعركة ستكسب .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون.
أحمد الله اننا عاديون .
نحن زهرة الوطن
وعندما يجيء النداء الأكبر
سيطل علينـــا
من يقول : انهم لم يحدثوا هرجا —
لأن هذا كان أجمل ما أمطرتهم السماء .
نعم كان هذا أجمل ما أمطرتهم السماء .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون،
أحمد الله اننا عاديون .
نعم هذا أجمل ما أمطرتنا السماء .

(يخرج آرشى)

(٨)

آرشى : ستسرق سراويلك وتبيعها كمنافض .

فرانك : من ؟

آرشى : مسز روبرتس ، رقم ٧ كلاييث لين ، كانت تقول هذا دائما

فرانك : عمن تتكلم أيها الكلب اليمينى القذر العجوز .

فوبيا : انى أتكلم عن هذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج ، تلك التى تقلب رأس جدك على الدوام . ثم لا تسمنى كلبا يمينيا عجوزا .

فوبيا : انى أذكر مسز روبرتس ، كانت لطيفة جدا معنا .

آرشى : قد أكون كلبا عجوزا ، ولكنى لست يمينيا .

فرانك : هذا لمدخنى السيجار فقط من أمثال جدى . (يرقص) « أوم ، طرف سيجارى القديم ، سيجارى . طرف سيجارى القديم . أدرتهم ولمستهم بطرف سيجارى القديم . طرف سيجارى القديم ، سيجارى ... » .

آرثى : كان فى مدرستى شاب يسعى الى دخول حكومة العمال ، وكانوا يقولون عنه دائما انه من يسار الوسط . ثم دخل مجلس اللوردات فجعلوه سماكا محترما . نعم فهذا ما يغطى يسار الوسط تقريبا ، أليس كذلك ؟

فرانك : أنت تعلم انك لا تعلم عم تتحدث .

بيسلى : كان من عادتى أن أستأجر جحورا فى كلايبت لين ... عشر شلنات فى الأسبوع شاملة .

فوبيا : فرانك ، أظن أنك كنت تستفنى .

آرثى : لو استطعتم أن تتجنبوا كل الكليشيهات المتساقطة من السقف كالوطاويط لأمكنكم أن تظفروا بشىء منى .

فرانك : حسنا ، لقد استطاع كثيرون غيرنا أن يظفروا به منك .

آرثى : تذكر على الأقل اننى أبوك .

فرانك : ومتى تذكرت أنت هذا ؟

فوبيا : فرانك ، هيا فلتكن ولدا طيبا .

آرثى : انت تريد أن تكون مثل جين ...

فرانك : أنهـا لم تعـد متعودة علينـا . أليس كذلك يا حبيبتى ؟

(يضع ذراعه حولهـا) .

جـين : انى على ما يرام .

فرانك : أحقا ؟ أراهن أنك نسيت كيف كان حالنـا ، أليس كذلك ؟

فوبيـا : انها لم تنس بالطبع . انها لا تنسىٰ بمثل هـذه السهولة . أتنسين يا عزيزتى ؟

جـين : لا ... لا أظن ذلك .

فرانك : (لفوبيا) أتشعرين بتحسن ؟

فوبيـا : نعم ، أشكرك يا عزيزى . تعال هنـا واعطنى قبلة . (يفعل ذلك) انه ولد طيب معى . ألست كذلك يا عزيزى ؟ حتى وان أسـأت التصرف قليلا أحيانا . كلنا نسيء التصرف قليلا أحيـانا على ما أعتقد .

آرشى : ما عدا جين ...

جـين : هـلا تفضلت بالكف عن محـاولة جعلى أشعر بأننى من كوكب آخر أو ما أشبه .

فوبيـــا : ان آرشى يمازحك . أليس كذلك يا آرشى ؟
لم أتناول حبوب بيتشام الخاصـــة بى أمس .
أتعلمـــين أن أمى لم تعرض نفسهـــا أبدا على
طبيب طول حياتها ، الا عنـــدما ولدتنا بالطبع ،
وكل ما كانت تتعـــاطاه هو مقـــدار بنسين من
حبوب بيتشام والبيروكسيد ونقط داتش .

جـــين : بيروكسيد ؟

فرانك : كانت تشربه كالبيرة .

فوبيـــا : نعم ، لقد عاشت حتى الثالثـــة والتسعين ولم
تكلف الحكومة بنسا واحـــدا طول حياتهـــا .
(لبيلى) هل أنت بخير ؟

بيـــلى : نعم ، أشكرك يا فوبيا .

فوبيـــا : (لآرشى) ضع شـــيئا فى كوبه يا آرشى . انه
فارغ تقريبا .

بيـــلى : كنت أحاول تذكر اسم المرأة .

فوبيـــا : أى أمرأة ؟

بيـــلى : تلك التى كانت فى كلاييت لين . كانت تقدم لنا
فخذ الخنزير كل صباح فى الافطار وكانت تذيب
الجبن فوقه . أول مرة ذقته فى حياتى .

فوبيـــا : لا أحب مثل هذا الشيء كثيرا . هنا ، هل ... معذرة لمقاطعتك اذ تذكرتها الآن فقط ... هل رأيت تلك الصورة المنشورة فى الصحيفة اليوم لابنة دوقة پورت ؟

فرانك : وهل لا بد من رؤيتها ؟

فوبيـــا : ما كنت لأراها ، وانما كنت فى الواقع أقـــرأ فقط عن ميك بالطبع ، ولكنى لم أستطع اجتناب رؤيتها . كانت رائعة . هل رأيتها يا آرشى ؟

آرشى : أوه نعم . كانت بجـــانب الـــكابتن بريتش ــ لودنيج جور .

فوبيـــا : ألا تعتقد أنها بديعة المنظر .

آرشى : أظن أنها تشبه فتـــاة البـــار صاحبـــة أبى فى الكامبريدج .

فرانك : نعم ... فى تثاقل خطاها .

فوبيـــا : فـــرانك !!

آرشى : (بسرعة) فوبيا حريصة جدا على دوقة پورت ، أليست كذلك يا عزيزتى ؟ تقول انهـــا تعتقـــد أنها طبيعية .

فوبيـــا : اظن فى هذا بعض الحق ، ولكـ . كانت دائما موضع اهتمامى . آوه ، منذ أن كانت صـغيرة جدا . أشعر بأنهـا جميلة جـدا من وجـه ما (سكوت) (لآرشى) هل هو بخير ؟ (مشيرة الى بيلى) .

آرشى : انه على ما يرام ؟ أنت بخير ، أليس كذلك ؟

بيـلى : كانت دائما تضع الجبن على لحم الخنزير .

آرشى : أنه يفكر فى صاحبة البيت فى كلاييث لين . أتعلم أن فتــاة البـار التى فى الكامبريدج تذكرنى بانسـان ... (لجين) سيهمك هذا لأنه من حديث رؤساء الوزراء والكلاب ... كان ايرلنديا وكان يقــوم بدور ترامبولين وكانوا يسمونه ليـدى روزى بوتوايز . والواقع أنه كان ولدا شديد التدين . وقد ترك كل ذلك فيما بعد واشتغل بالملاقات العامة أو شىء ما . الشاهد أن روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ، وكان يستطيع أن يستمر عشر دقائق دون أن يتوقف ليتنفس ودون أن يكرر أى كلمة . كان فنانا . غير أن أقبح كلمة من أربعــة حروف فى الانجليزية أو

أي لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى »
وكان يطلقها على أى شىء بشرط أن يعتقد أنه
على درجة كافية من السوء * .

بيسلى : أراهن أنه ايرلندى .

آرشى : هذا ما قلته حالا . حاول أن تصغى .

فويبسا : أعتقد أن فرانك كان سيغنى .

آرشى : لو أعطيته طبقا من البطاطس الردىء الطهو لرفعه وقال « من الذى صنع هذه الشرائح الرديئة الفارغة المتعفنة المحافظة (التورى) ؟ » .

فرانك : لقد قلت هذه الحكاية من قبل .

آرشى : سأصفعك حالا .

فرانك : سأصفعك أنت حالا ... مع أنها ليست حكاية جيدة .

آرشى : عندما تتعلم كيف تحكى حكاية مثلما أحكيها أنا ، ستكون على ما يرام ...

---

* Tory : هو الاسم التقليدى لحزب المحافظين فى بريطانيا ، وهو الصفة التى تطلق على عضو الحزب أيضا .

فرانك : لن ابدو أبدا عجوزا بالقدر الذى يحملنى على ان احكى حكاياتك .

آرشى : الن الأحسن لك أن تغنى ، أليس كذلك ؟

فرانك : وهو كذلك . وهو كذلك . سأغنى . سأغنى لجين لأنها لم تسمعنى . سأغنى احدى أغانى بيلى . انها بريطانية ...

بيلى : ما هذا ؟ أى أغنية ؟

فرانك : ودينية جدا .

بيلى : أى أغنية سيغنيها ؟

فرانك : ولذا فان فيها شيئا ما لكم جميعا .

(يغنى ويرقص) .

بعد ما هتفتم : احكمى يا بريطانيا ،
وبعد ما غنيتم : حفظ الله الملكة ،

وبعد ما انتهيتم من قتل كروجر بأفواهكم،
ألا تعطفون فتسقطون شلنا فى رقى الصغير
لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب .

انه شحاذ شارد اللب كثير مواطن الضعف
ولكننا نحن المخبرين نأخذه كما وجدناه
لأنه ذاهب الى الخدمة العامة ، وهو يمحو
شيئا ما من أحد الألواح .
وقدخلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة.
ابن الطاهيـــة وابن الـــدوق وابن الايرل
المتمنطق .

* * *

خمسة آلاف حصان ورجـــل تلقت الأمر
بالسفر الى خليج تيبل .
كل منهم يؤدى عملا لبلاده ...
ومن ذا الذى سيرعى الفتاة ؟
دعوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا،
ادفعوا ، ادفعوا .

بيـــلى : دعـــوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا ،
ادفعوا ، ادفعوا .

لا بأس بالنسبة لهاو .

بيـــلى : آخر مرة غنيت هذه الأغنية كانت فى حانة ، فى
مكان فى يوركشير ، اذا اشتريت فيه كوزا من
البيرة أعطوك طبقـــا من عصيدة يوركشير فى

ذلك الوقت ، به أقصى ما تستطيع أن تأكل .
كل هذا مقابل بنسين .

آرشي : دع عنك هذا يا أبي . ما قدم احد أبدا شيئا كهذا ، حتى فى أيامك .

بيسلى : أنا أقول لك انك كنت تأخذ طبقا من عصيدة يوركشير ...

آرشي : لقد خرفت فعلا من الشيخوخة .

بيسلى : به أقصى ما تستطيع أن تأكل .

آرشي : ان عقلك ذاهب يا أبى . يجب أن أجلس .

بيسلى : انى جالس .

آرشي : أصابك الوهن .

فوبيا : آرشى ، لا تشاكسه .

بيسلى : لست واهنا . لست فى نصف وهنك القذر ... ولله الحمد (فجأة يراهم يبتسمون لمنظره) أحمد الله انى لست كذلك ، هذا كل ما فى الأمر . أتظن أنك تستطيع التغلب علىّ بسهولة . اعطنى شيئا من هذا .

فرانك : حين لا تكون هناك فتاة تشعر بوحدة شديدة . حين لا تكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك...

آرشي : اسكت لحظة من فضلك . انى أحاول أن أتذكر. آه نعم نعم . البنت التى أحبها فوق دورة المياه، البنت التى أحبها تنظر الى من أعلى

فوبيا : لا ، لا تغن هذه يا آرشي . لا تغنها هكذا . (لجين وفرانك) دائما يغنى هذه الأغنية ، أليس كذلك ؟ انها أغنيته المفضلة على ما أظن.

جين : غنها أنت .

فوبيا : أنا ... أوه أنا لا أستطيع أن أغنى ، ولا أعلم حتى هل أذكر الكلمات .

فرانك : هيا يا حبيبتى ، حاولى .

فوبيا : (لآرشي) هل أغنى ؟ (يومىء ايماءة خفيفة) وهو كذلك اذن (تغنى) .

أوه الفتى الذى أحبه فى الشرفة فوق
الولد الذى أحبه يطل علىّ من عل
أين هو ؟
أنه هناك
يلوح بمنديله

سعيد كالعصفور
الذى يغرد على الشجرة .

جـــين : شكرا لك يا فوبيا . شكرا لك .

فوبيـــا : كانت رائعة جدا على ما أعتقد .

بيسلى : حسنا ، أنا ذاهب الى فراشى .

فوبيـــا : من الآن ؟

بيـــلى : (ذاهبا الى حجرته) نعم ، انما جلست لأشرب كأسا نخب ميك الصغير . ســآوى الى فراشى قبل أن يصعد هؤلاء البولنديون الأقــذار الى هنا . ليلتكم ســعيدة جميعا . (يردون ، ليلة سعيدة) .

فوبيـــا : أظن اننى يجب أن أذهب بعد لحظة . أشـــعر ببعض التعب . وسوف لا أذهب للعمـــل غـــدا أيضـــا . نعم ، ما أظنكم تتوقعون أن أذهب ، أليس كذلك ؟

جـــين : بالطبع لا تتوقع .

فوبيـــا : ولعلى مهتاجة الى الحد الذى لا أستطيع معـــه

نوما على أي حال . (لجين) هل أريتك الخطاب الذى تلقيته من كلير ؟

جـين : من هى كلير ؟

آرشى : (لفوبيا) أنا ذاهب الى فراشى يا عزيزتى .

فوبيـا : دقيقة واحدة . سأقرأ لها خطاب كلير . كلير ابنة أخى ... تلك التى فى تورنتـو . الأفضـل أن أقراه لك فخطها ليس حسنا جدا . انها ابنـة أخى جون . انهم جميعا هناك الآن وكذلك أخى جون . لقد بدأوا فى شغل المطاعم منـذ أربع سـنوات بخمسمائة دولار ... وهـذه بنتهم الصغرى (تناول صـورة فوتوغرافية لجـين) والآن لديهم فندق فى تورنتو وسيفتحون فندقا آخـر .

آرشى : (لجين) ليس عليك أن تبدى اهتماما يا عزيزتى . (لفوبيا) انها لا تهتم بكل زوث الخيل هـذا عن كنـدا .

فوبيـا : انها تهتم طبعا ، ولا ترفض الاصـغاء . أليس كذلك ؟

آرشى : لمـاذا لا يغنى فرانك أغنية أخرى ؟

فوبيـــا : أنا أحاول فقط أن أوضح لهـــا . لقـــد فتحوا واحدا فى تورنتو وسيفتحون فندقا آخـــر فى أوتاوا . وأخى چون يدير فندق تورنتو نيـــابة عنهم . ولكنهم يريدون منا أن نلحق بهـــم وأن يتولى آرشى ادارة فندق أوتاوا .

آرشى : ما الذى أعرفه عن الفنادق ؟ كل ما عشت فيـــه هو الجحور .

فوبيـــا : انه يغضب كلما ذكرت ذلك .

آرشى : بالله لا تقولى اننى أغضب كلما ذكرت ذلك مرة أخـــرى . لقـــد ذكرته ، أليس كذلك ؟ ولست غاضـــبا ، وانما أظن فقط انهـــا فكرة قـــذرة لا هدف لهـــا .

جسين : متى كتبوا اليك هذا ؟

فوبيـــا : منذ نحو أسبوعين . أوه انها تقول اننا لا نحتاج لاتخاذ قرار قبل شهر أو شهرين .

جسين : وماذا عن الأولاد ؟

فوبيـــا : فى وســـعهم أن يحضروا أيضا اذا أرادوا . أنا

لا أعرف شيئا بخصوص ميك ، ولكن فرانك مرتاح للفكرة ، أليس كذلك ؟

جين : أحقا يا فرانك ؟

فرانك : تلفتي حولك . هل تستطيعين أن تجدى سببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المربع الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعي نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شيئا هنا يا جين ، لأنهم لا يسمحون . ما من فرصة أمامك . من أنت ؟ انت لا شيء . انت لا شيء ، فليس عندك مال ، وما زلت صغيرة . وعندما تبلغين آخر الشوط ، من المؤكد جدا انك ستظلين لا شيء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد انك ستكونين قد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبدئى فى التفكير فى نفسك يا جين لأنه ليس هناك من سيقوم عنك بهذه المهمة . ليس هناك من سيقوم بهذه المهمة لأنه لم يبق من يؤمن بهذه الأمور الآن . أوه ، قد يقولون انهم يفعلون ، وقد يقتطعون بضعة دراهم من أجرك كل أسبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتك ليقنعوك،ولكن لا تصدقى

فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك .انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسط الطريق غير آبهين الى أين يذهبون طالمـا كانوا فى الوسط الملعون . (يكاد يغنى) أولاد الحرام المتهرئون . « أوه ، حين لا تكون هناك فتـاة تشعر بوحدة شديدة . حين لا تكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : أوشين . انك ستوقظ البولنديين .

فرانك : يجب أن يوقظك انسان ما . « تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : يجب أن تذهب الى فراشك .

فرانك : انت وهذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج. انت وهى . كقرد على شـجرة ، على ما أظن . أنا ذاهب الى الفراش .

(يخرج وهو يغنى واضعا ذراعه على كتف آرشى وملوحا للآخرين) .

آرشى : ليلة سعيدة يا ولدى .

فرانك : (يغنى) أيتهـا الصخرة التى نحتت من أجلى منذ القدم .

دعينى أخبىء نفسى فيك .

آرشى : على أى حـــال لا يمكنك شراء بـــيرة باص فى تورنتو .

فوبيــــا : اليك ، هذا ما تقوله : انها تتكلم عنا فيما يتعلق بسفرنا ودفع أجرة السفر الى آخره . وبعـــد هذا عن الوظيفة فى أوتاوا . الخبرة غير لازمة ، المهم أن يكون العمل فى يد واحد من اهلهم . انها تقول « لدينا جهاز تليفزيون واحد وعشرون بوصة وجهاز راديو الخ . والآن لدينا سيارة شـــيفروليه بل اير طـــراز ١٩٦٥ مزودة بناقل أوتوماتيكى وبكل الكماليات التى يطلبها الجميع هنا . أنا واثقـــة من أنك وآرشى ستستقران فى أقرب وقت وسيمضى كل شىء على خير وجه . (تطبق الخطاب بعناية) اعتقـــدت أنك تودين أن تـــسمعى ما قالته .

جـــين : نعم ، أشكرك .

فوبيــــا : (بعد سكوت قصير) هل ستبقى سهران أكثر من هذا يا آرشى ؟

آرشى : أنا على وشك القيـــام .

فوبيــا : أعتقد أننــا جميعا مرهقون . لا أســتطيع أن أحتمــل كل هــذه الانارة بعــد هــذا .
(لجــين) ليلة ســعيدة يا عزيزتى . سامحينى ان كنت قد أبديت بعض السخف .

جــين : انسى هــذا . ليلة سعيدة . سوف لا أوقظك .

فوبيــا : ليلة سعيدة يا آرشى .

آرشى : سآتى وأقول لك ليلة سعيدة .

فوبيــا : شكرا يا عزيزى . علينا أن ندبر له مكانا للنوم، أليس كذلك ؟

آرشى : ميك ؟ أوه ، انه يستطيع أن يشاركنى فى فراشى.

فوبيــا : نعم . انى أتوقع أنه سيكون فى غاية الارهاق ، الطفل المسكين . أوه حسنا ، لن يطول غيــابه الآن . (تخرج) .

آرشى : لقد ذهبت الى كندا خلال الحرب .

جــين : أذكر ذلك .

آرشى : لم أستطع الحصــول على أى بـيرة باص فى تورنتو ، ويبدو أنهم يعتبرونها انجليزية جــدا (سكوت) انها ليست انجليزية جدا فى نظرى .

لست قادرا على هضمك فيما يختص بذهـابك الى ميدان ترافلجار ، هل تهتمين حقا بكل هذه الأمور ؟

جـسين : كنت أعتقد ذلك وقتئذ .

آرشى : هذه حال الباص والنساء ، آه . ألم أقص عليك أبدا حكايتى مع الراهبات ؟ لقد نظرن الى نظرة واحدة فقط ... أستطيع أن أتذكر وجوههن البيضاء السقيمـة وعيونهن الصغيرة ... نظرن الى مرة واحـدة ، واذا بهن جميعـا وفى نفس اللحظة وبطريقة تلقائية جدا جدا يرسمن علامة الصليب على أنفسهن . رسـن الصليب على أنفسهن وكانت هذه أكبر تحية ظفرت بها طول حياتى . فلنأخذ كأسا آخر من هذا ، أتوافقين ؟

جـسين : بالتأكيـد .

آرشى : لقد تشاجرتِ مع فوبيا الليلة .

جـين : لم يكن شيئا هاما . بدا أنها انقلبت علىّ فجأة.

آرشى : كان لى مع أمك موقف سخيف بسبب فوبيا .
(سكوت)

جـسين : ما علمت بهذا .

آرشى : لا أعلم ما الذى كنت أتوقعه حقا ، ولكنى من وجه ما توقعت أن تقولى شيئا أكثر من هذا .

جسين : وماذا تنتظر منى أن أفعل ... أعقد حلقة للمناقشة فى ميدان ترافلجار ؟

آرشى : كل أولادى يعتقدون أننى زير نساء . لم أعبأ أبدا بان أخفى ذلك على ما أعتقد ... وهذه هى الاجابة .

جسين : لعله يجب أن نذهب الى الفراش .

آرشى : لا ، أبقى برهة . أظن أن لدى كلينا القابلية . كنت قد ولدت لتوك حين طرأ ذلك الموقف ، وكانت أمك كما تقولين شخصا ذا ... شخصا ذا مبدأ ، فعرفَتْ كيف ينبغى للناس أن يتصرفوا ، ولم يكن فى هذه المسألة طريقان . لم تغفر لى أبدا على أى حال .

جسين : لم تكن تحبها ...

(آرشى قد سكر فهو يغنى وينغم كلامه كما لا يستطيع الا سكران ، بطريقة موضوعية ومدروسة تقريبا كقائد أوركسترا يقود صوته) .

آرشى : بلى كنت أحبهـا . كنت مغرما بهـا مهما يكن معنى ذلك ، لا آدرى . على أى حال فقد ماتت بعد بضعة شهور ، وهذا ما كان . كانت أمك عميقة الاحساس بكل شىء ... أعمق بكثير منى. ولعله كان فى امكاننا أن نسير الأمور فيما بيننا. ألم أخبـرك أبدا بأكبر شىء مؤثر سـمعته فى حياتى ؟ كان ذلك عندما كنت فى كندا ... كنت أعبر الحـدود خلسة فى بعض الأحيـان لأقابل اناسا أعرفهم ، وذات ليلة سمعت زنجية تغنى فى بار . والآن سـوف تبتسمين لهذا ، سـوف تبتسـمين حتى يطـير عقلك المتعلم الانجليزى ، لانى اعتقد أنك لم تجلسى أبدا وحيدة شـبه منطوية فى أحد البارات وسط جمع من الأغراب على مبعدة ألف ميل من أى شىء تعتقدين أنك تفهمينه . ذلك انى اذا كنت قد رأيت فى حياتى أى أمل أو قوة فى النوع الانسانى ، فانما كان ذلك فى وجه تلك الزنجية العجوز السمينة حين قامت لتغنى عن اليسوع أو شىء مشابه . كانت فقيرة وحيدة مضطهدة كما لم ترَىْ انسانا فى حياتك ، أو كما لم أره أنا من هذا القبيل . بل اننى لم أكن أحب ذلك النوع من الموسيقى .

غير أن منظر هذه العاهرة العجوز السوداء وهى تفجر قلبها غناء للعالم كله ، يقنعك فى الصميم بطريقة ما ، انه مهما يكن مبلغ ما يعانيه الناس ؛ الناس الحقيقيون ، من الرفس والركل والاحتقار ، فانه عديم الأهمية طالما انهم يستطيعون أن يقفوا فيطلقوا صوتا عاليا نقيا طبيعيا مجردا كهذا ، فما من عيب فيهم ، انما العيب فى كل من عداهم . لم أسمع أبدا شيئا مثل هذا منذ ذلك الحين . لم أسمعه هنا قط . أوه ، لقد سمعت همسات منه فى احدى ليالى السبت فى مكان ما . أوه ، ولقد سمعه هو ، أعنى بيلى . لقد سمعهم يغنون منذ سنوات بعيدة ، هذا العجوز المسكين ، ولكنك لا تسمعينه الآن فى أى مكان ، ولا أظن أننا سنسمعه مرة أخرى ، فلم يبق من عنده مثل هذا الاحساس . كم أتمنى على الله أن أستطيع، كم أتمنى على الله أن أستطيع أن يكون لى احساس تلك الكلبة العجوز السوداء بخدودها المكتنزة ، ثم أغنى . لو اننى فعلت شيئا واحدا كهذا فى حياتى كلها لكفانى . فهو خير من أن تمضى فى عملك دون ضجة ، أو أن تفعلى شيئا

بنسـاء ، وخـير من كل مناقشاتك فى ميـدان ترافلجـار !! كم أتمنى من الله أن أكـون تلك الغرارة العجوز ، واذن لوقفت أهز صـدرى الضخم صعودا وهبوطا وأرفـع رأسى عاليـا وأصدر أعظم الضجيج جمالا فى هـذا العالم . يا آلهى لو استطعت . ولكنى لن أفعل ذلك ، فما عدت آبه لشيء حتى النساء أو بيرة باص . هل تظنين انك تفعلين شيئا من هذا ؟ أتظنين ؟

جـين : لا أدرى . الحق اننى لا أدرى . لعلى سـأفعل مثل ما تفعل تماما .

آرشى : بالطبع ستفعلين . واعلمى انك ستكونين أكثر نجاحا فى هذا ، فأنت أكثر مهارة ، وانى لأظن انك تحسين حقا بشيء ما أيضا ، على الرغم من كل ما قيل عن ميدان ترافلجار . انت من النوع الذى يسمونه عاطفيا ، تحملين كل استجاباتك معك حيثما سرت بدلا من أن تتركيها فى البيت. وعلى حين يجلس الآخرون على أيديهم تكونين أنت الفتى المتحمس الجالس فى المؤخرة يصفق حتى يوجع كفيـه . ولكنك سـتضطرين الى الجلوس على يديك كما يفعل كل الناس . أوه ،

لعلك تظنين اننى لست الا ممثلا عجوزا مهلهلا من ممثلى صالة الموسيقى ، يجب أن أواجه بالحقيقة ، مثل بيلى العجوز ، من أن الناس ما عادوا يلبسون الثياب الفاخرة والأحذية اللامعة . أنت تعلمين انك عندما تصعدين الى هناك يخيل لك انك تحبيّن كل أولئك الناس الذين حولك هناك ، ولكنك لا تحبينهم . انت لا تحبينهم ولن تقفى لتحدثى ضجة محببة . ولو تعلمت الأمر على الوجه الصحيح لاتخذت لنفسك آسلوبا . بوسعك أن تبتسمى ، ويحك تبتسمى ، وتلوحى انك أخلص وأجمل شىء فى الدنيا،ولكنك ستكونين هامدة متكلفة متهالكة، وستجلسين على يديك كما يفعل سائر الناس . انظرى الى هذا الوجه . انظرى اليه . هذا الوجه يستطيع أن يتفجر حرارة وانسانية ، يستطيع أن يغنى وأن يحكى أردأ الحكايات فى العالم وأبعدها عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخاوية دون أى اهتمام ، دون أى اهتمام .دون أى اهتمام لأن ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العينين . اننى ميت تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفة التى

هناك . لا اهتمام لانى لا أشعر بشىء ؛ ولا هم يشعرون ، كلانا ميت كصاحبه . اخبرينى ، اخبرينى بشىء. أريدك أن تخبرينى بشىء ، ماذا عساك تقولين فى رجل من مثل سنى يتزوج فتاة من مثل سنك أو قريبة من سنك ؟ لا تنزعجى . لقد قلت لك اننى لا أحس بشىء .

جسين : انك لا تستطيع !! لا تستطيع أن تفعل شيئا كهذا !!

آرشى : لقد ابتعدت عن أبيك العجوز فترة طالت قليلا . لم نر بعضنا كثيرا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لا بأس .

جسين : لعلك لست جادا !! انك لا تستطيع أن تفعل هذا بفوبيا ... لا تستطيع طلاقها .

آرشى : الأطفال !! (يضحك) الأطفال !! انهم كقاعة الموسيقى اللعينة.لا تقلقى على رجلك العجوز... انه ما زال قلقا بعض الشىء على ميك الصغير ، أظنه كذلك على الأقل . لقد قلت لك انه لا شىء يحرك احساسى . وكما قال الرجل ، لقد دفعت شلنا وست بنسات ... أتحداك أن تسلينى !! دع أى واحد هناك يقف ويمثل فاصلا ، دعهم

يقفـون ، لا يهمني مبلغ جـودته . أن آرشي العجوز الميت وراء عينيـه جالس على يديه ، وقد فقد الاستجابة وهو على الطـريق . انت لا تظنـين انني كنت ذا جاذبيـة جنسية تلفت النظر الى ، أليس كذلك ؟ انت لا تظنين انني كنت ذا جاذبيـة جنسـية تلفت النظـر الى ، أليس كذلك ؟ حسنا ، عندي محاولة يا سيدتي. عندي محاولة ، أليس كذلك ؟ عندي محاولة . فتاة البار هذه التي في الكامبريدج . هذه الفتاة التي قلبت رأس بيـلي المسـكين العجـوز في الكامبريدج ... لقد نلتها ، في غفلة منه ...

(تدخل فوبيـا) .

فوبيـا : ظننتك قد أحضرت شخصا ما هنا . لقد نادوا من أسفل الدرج . هناك شرطي بالبـاب يسأل عنك يا آرشي .

آرشي : انه محصل ضريبـة الدخل . اخبريه بانني كنت في انتظاره . كنت في انتظاره منذ عشرين سنة.

فوبيـا : (لجين) أظن أنه يبحث عن شخص ما هنا ... ماذا تظنينه يريد ؟

آرشى : ليس الا أنا وابنتى چين ... التى أنجبتهـا من حبى الأول . لمـاذا لا تعودين الى لندن ؟ قولى لى ، ألست مسرورة بانك عادية ؟ لقـد عشت طول حياتى أعمل سبعة أيام فى الأسبوع ، أليس كذلك يا فوبيا ؟ أعمل سبعة أيام فى الأسبوع . كنت دائما فى حاجة الى قفزة آخر النهـار ... وأوله كذلك عادة . كمجرد قطعـة من لحـم الخنزير على اللوحة . حسنا ، انها مشكلة كل انسان ما لم تكونى مثل ميك خالية من المشاكل. نعم ، كان عنده مشكلة ولكنه الآن فى طريقه . نعم أنه ولد بلا مشاكل . أنا نفسى رجل أعمل سبعة أيام فى الأسبوع ، ومرتين فى اليوم .

يا فوبيا المسكينة العجوز ، لا يبدو الهم عليك هكـذا يا حبيبتى . اما انهـم يفعلونهـا ولا يستمتعون بها، أو أنهم لايفعلونها ولا يستمعون بهـا . لا يبد الهم عليك هكذا يا حبيبتى . لقد سـكر آرشى مرة أخرى . انه ليس الا محصل ضريبة الدخل .

فوبيـا : لقد نزل فرانك ...

فرانك : (داخلا) أولاد الزنا !! أولاد الزنا المتعفنون !! لقد قتلوه . لقد قتلوا ميك . هؤلاء الخنازير

القـــذرة ... لقـــد قتـــلوه . أوه ، أولاد الزنا المتعفنون !!

آرشى : (يغنى ببـــطء) أوه يـــا ربى ، لا يهمنى أين يدفنون جثمانى ، لا ، لا ، يهمنى أين يدفنون جثمانى . لأن روحى ذاهبة لتحيا مع الله .

ســـتار

نهـــاية الفصل الثـــانى

(٩)

(موســـيقى جاز . الضوء على فرانك أمام البيـــانو) .

فرانك : أعيدوا جثمانه وادفنوه فى انجلترا
أعيدوا جثمانه وادفنوه هنـــا
أعيدوا جثمانه فى طائرة
ولكن لا تكلمونى أبداً .
تلك الملاعب التى فى ايتون
هى فى الحق سبب هزيمتنا .
ولكن لا فائدة فى الحزن
لانها هى بريطانيا التى نؤمن بها .
ولذا أعيدوا جثمانه وادفنوه هنا .

أعيدوا جثمانه فى طائرة ...
ولكن لا تكلمونى أبدا .

(يتلاشى) .

(١٠)

بيلى . فوبيبا . جين . فرانك . بيلى وفوبيا يلبسان السواد والآخران يلبسان شريطا أسود على الذراع .

جين : حسنا : هذا ما حدث . (تتناول صحيفة) هل يستطيع أى انسان أن يخبرنى الام انتهى الأمر كله ؟ (سكوت)

آرشى : كانت عمتى تقول نفس الشىء ، « نعم ، لقد أرسلوه الى حيث لا رجوع » . كانت تقولها دائما كل مرة . (لبيلى) أليس كذلك ؟

بيلى : يا لروزى العجوز المسكينة .

آرشى : كنت أتساءل ماذا عساه يحدث اذا لم تقلها .

بيلى : كانت روزى العجوز وأنا نقضى أوقاتا طيبة معا. وكنا كثيرا ما نخرج للنزهة معا . قبل أن تتزوج كلانا .

جـيـن : حســنا ، أظن الأمر يصيب انســانا ما بضربة . هل أنت بخير يا فوبيا ؟

فوبيــا : أنا بخير يا عزيزتى . متعبة قليلا .

بيـلى : أى مكان كانت لندن اذ ذاك لقضاء وقت طيب. أحسن مكان فى الدنيا للضحك . كان النــاس دائما على استعداد لأن يضحكوا ويرحبوا بك. كانت أحسن نظارة فى العالم .

(يعبر الى يسار الوسط ويحضر كرسيا ويجلس الى المنضدة) .

آرشى : كنت فى قرية صغيرة فى دونجال ذات مرة ، فى الرحلة الايرلندية كما تذكر . وفى صــباح يوم وصولنا هناك جاءنى رجل وقال : « أوه ، نحن من كبار دارسى الدراما هنا . من كبار دارسى الدراما . وناقدونا المسرحيون يســتطيعون أن يمسحوا أى انسان ... أى انسان » . واتضح أنه حداد القــرية . ثم قال ، قال « اذا نجحت أمام النظارة هنــا فستنجح أمام أى نظارة فى العالم » . وكان هذا حقا أيضا . فقــد خرجت بضربة على عينى .

بيلي : فى بعض الأماكن لا يفعلون شيئا الا أن يجلسوا ويحملقوا فيك . يجلسون ... لا غير . أما لندن فقدكانت هى المكان. روزى العجوز... كانت امرأة جميلة . أنا مسرور لأنها ليست هنا الآن .

جين : (تفتش فى الصحف) كيف تستطيع أن تنافس هذه الأشياء ؟

فرانك : ليس ذلك فى الاستطاعة .

جين : لماذا لم يحصل انسان على صورة لك وأنت توقد الغلايات ؟

آرشى : لا أعتقد أن ميك كان سيهتم بها جدا .

فرانك : كلنا مرهقون .

جين : كلنا مرهقون حقا . كلنا مرهقون . كل واحد منا واقف حول المكان ، يتسكع دون أى مقصد، منتظرا أن يؤخذ بأى أمر قد يسمحون بوقوعه لنا بعد ذلك .

آرشى : بحق يسوع ، لا تشرعى فى أن تصيرى عاطفية...

جين : لست أتوقع أن تصير كذلك .

....

آرشى : هذا صحيح .

جـين : ولكن فرانك مختلف ... على الأقل أرجو أن يكون كذلك . ليس عليك أن تخاف يا فرانك. لست فى حاجة لأن تقلق من أن تكون عاطفيا كخطيبى الموهوب . لن تموت بسببها . قد تظن أنك تستطيع ، ولكن لا .

آرشى : كان ميك العجوز يشبه جراهام الى حد ما ، فى الواقع كان يبدو أنه يعرف ما يريد والى أين هو ذاهب .

جسين : آكان كذلك ، هذا أمر مهم ...

آرشى : أذكر أنه كانت له علاقة بفتاة تسمى سيلفيا ، كان فى حوالى السادسة عشرة اذ ذاك .

جسين : ماذا جرى لك يا آرشى ؟

فرانك : لماذا لا تتركيه وشأنه ؟

آرشى : هذا صحيح ، لماذا لا تتركى رجلك العجوز وشأنه ؟

جسين : أوه ، لقد تركتك وشأنك تماما .

آرشى : هل أقول لكم ... ظللت طول حياتى أبحث عن

شيء ما . ظللت أبحث عن نوع من البيرة يمكنك أن تشرب منه طول المساء دون أن تجرى الى الخارج كل عشر دقائق ، وأن تشرب منه حتى تسكر دون أن تشعر بالسقم ، وكل هذا مقابل اربعة بنسات . والآن فان الرجل الذى يستطيع أن يقدم لى كل هـذا سيظفر بصـوتى فى الانتخابات حقا . سيظفر به حقا . أوه ، حسنا ، لأن أصنع امرأة أيسر عنـدى على الدوام من أن أصنع رأيا .

جسين : أتعلم يا آرشى أنك زنديق بعض الشيء ..

فوبيسا : چـين ...

جـين : أنت كذلك حقـا ... انك زنديق تمشى على ساقين .

آرشى : ألأنى لا أهتم بشيء سـوى البيرة ؟ اسـمعى يا بنيتى ، سوف تكتشفين فى النهاية أنه لا يوجد انسان يعير أى اهتمام لشيء الا اذا كان حاجة حيوانية صغيرة . وبالنسبة لى هـذه الحاجـة الحيوانية الصغيرة هى البـيرة . والآن لمـاذا لا تستطيعين الكف عن مهاجمة كل انسان ؟

جـين : لا أستطيع .

آرشي : ماذا تظنين نفسك ... جرعة من الأملاح ؟

جين : هذا طبعي .

آرشي : حسنا ، ما آمنت في الواقع أبدا بكل هذه النظافة الداخلية على كل حال. هل تركت زجاجة من البيرة هنا الليلة الماضية ؟

فوبيا : لا أظن هذا يا عزيزي .

آرشي : اذا لم تكوني على حذر يا چين فان الناس، سيشرعون في اطلاق النعوت عليك في أقرب وقت ، واذا ذاك سوف تصبحين مجرد لا شيء. ستصبحين لا شيء كبقيتنا .

فوبيا : سيحضر لك فرانك بعض البيرة . لقد بقي شيء منها في المطبخ . هل تسمح يا عزيزي ؟

فرانك : بالتأكيد . (يقفه ويعبر عن يسار الكرسي)

جين : لا يمكن لنا جميعا أن نقضي وقتنا في تسمير حقائبنا في الأرض والتدلي من النافذة .

آرشي : وتسليك المجاري .

جين : انك مثل الباقين ولكنك أردأ حالا ... انت، تستطيع تغطية نفسك بمجرد عدم ابداء

الاكتراث . (وتشير الى الصحف) تظن أنك اذا لم تبد الاكتراث فانك لا يمكن أن تحقر ، ولذا فانك تفرغ حياتك فى الصراخ بكلمات من أربعـة حروف مكتفيـا بالأمل فى أن الأمور ستصلح بطريقة ما .

فرانك : اتركيه وشأنه ، فهـو ليس الا مغموما مثلك . ولذا اسكتى .

جسين : سأقص عليكم قصـة آرشى رايس . حسنا . هل تريدون العناوين الرئيسية أولا ؟

آرشى : لم أحب القسيس على كل حال . لقـد كرهته حقـا . كان كأنما يريد أن يطـرد الجميـع ، هل لاحظت ذلك ؟

جسين : لا تخادعنى . انك لا تستطيع أن تخدع قطة .

آرشى : استمرى ... اشتمينى ، لا يهمنى . شىء واحد اكتشفته منذ زمن طويل ، هو أن معظم الناس لا يعرفون أبدا متى يشتمون . وأن كثيرا من الناس يجمعون كثيرا من المـال باستغلال هذا المبـدأ . انى متبلد كالبرميـل فى الحقيقـة . اعلمى انى لست خيرا من بقيتهم .

جـين : أوه الآن لا تشرع فى التواضع ...

آرشى : اننى متواضع . أنا متواضع جدا فى الحقيقة . ما زالت بى أثارة" من الحقارة تدور فىداخلى. وما أظن بك شيئا منها .

جـين : وهذا كل ما فى الأمر .

فرانك : ما الذى جرى لها ؟

آرشى : لا تسألنى يا ولدى ، لا تسألنى . ما حللت لغزا طول حياتى أبدا .

جـين : ليست لديك المقدرة . كنت دائم الانهماك فى كره كل تلك الأشباح الغامضة التى فى الظلام العظيم ، أليس كذلك ؟ لقد كنت ماكرا حقا . (لفرانك) انى أريدك أن تعرف الحقيقة فى شأن أبيك .

فرانك : اسمعى يا چين ، لقد دفن ميك منذ قليل . لقد دفن ولا يريد أحد أن يتحدث فى ذلك أو أن يدخل فى شجار .

جـين : ماذا تريد ، دقيقتى صمت ؟ ان أباك ليس كريما وواعيا وعطوفا فحسب ... أنه لا يأبه

بأى انسان . انه يســاوى مقــدار بنسين من لا شيء .

آرثى : نعم ، لا بد أن أقول أن هذا خير وصف لى .

جسين : لست بحاجة لأن تنظر الى . لقد فقدت أنا أخا أيضا . لمــاذا يريدنا النــاس أن نجلس هنــا ونكتفى بلف المسألة فى حجورنا ، لمــاذا يموت الأولاد أو يوقدون الغلايات ، لمــاذا تقع بنــا هذه الأشياء ، وما الذى نأمل أن نحصل عليه منها ، وفى مساندة ماذا هى كلها ... أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفــاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟

فوييــا : أظن اننى سأذهب لأنام . (لچين) لقــد كان طيبا معى على الدوام .

فرانك : هل أحضر لك قرصا من الاسبرين ؟

جــين : أن أحدا لا يصغى لأحد .

فوييــا : شكرا يا عزيزى ، اذا سمحت . (لچين ببساطة) لقــد كان طيبــا معى على الدوام ، مهما يكن ما فعله ، على الدوام . (تخرج)

فرانك : سأحضر لك تلك البيرة .

بيسلى : عندى دائما ابريق منها على المنضدة فى البيت. معى المفاتيح هنا .

جين : (لآرشى) لا تستطيع أن تفعلها بها . لن أدعك.

بيسلى : نعم ها هى.

آرشى : يريد أن يعرف ما اذا كنت قد جددت التذكرة . كل شىء على ما يرام ... حصلتُ على ثلاثة شهور تجديدا لها .

بيسلى : آه ؟ (لجين) هناك .

جين : ما هذا ؟

بيسلى : ماذا جرى ... هل آذانكم اللعينة فى حاجة الى الحقن ؟

فرانك : أتريد شيئا من البيرة يا جدى ؟

بيسلى : ان أحدا لا يصغى لأى كلمة لعينة تقولها .

فرانك : قلت هل تريد شيئا من البيرة ؟

بيسلى : تلك هى العلة هذه الأيام . كل انسان منهمك جدا فى الرد والكلام على هواه بدلا من انهاء الأمر والعمل بما يقال له . لا ، انى ذاهب الى

الفـــراش اذ على أن أبكر فى الخروج غـــدا .
(لآرشى) فى أى وقت قلت ؟

آرشى : حوالى التاسعة .

فرانك : أين أنت ذاهب ؟

بيسلى : أبوك وأنا لدينا عمل معا . كان غريبا كل هؤلاء الناس الذين خلعوا قبعاتهم لميك الصغير اليوم.

فرانك : معظمهم لم يكونوا لابسين قبعات على أى حال.

بيسلى : فى أيام شبابى كان كل رجل ـــ وكان كل رجل يلبس قبعـــة فى تلك الأيام ، لـــوردا كان أم جزارا ـــ كان كل رجل يرفع قبعته عندما يمر بقبر الجنـــدى المجهـــول ، حتى فى ســـيارات الأتوبيس . وفى هذه الأيام راقبت الناس الذى يمرون به غـــير ملقين حتى مجرد نظـــرة ، ولو نزعت عنه الأعلام فانى أتوقع أنهم سيجلسون عليه ويأكلون ساندوتشاتهم .

آرشى : كنت الآن أفكر فى ميـــك الصغير وســـيلفيا . كانت طفلة جميلة جذابة . وانى لأتساءل ماذا تفعل الآن . وأتساءل هل قرأت عنه فى الصحف حيث صار بطلا وطنيا وقتـــل . ما أظن انهـــا نسيته . هل تظنون ذلك ؟

فرانك : انى لأظن هــذا . هل أستطيع أن آخذ شــيئا ٠ن بيرتك ؟

آرثى : تفضل . انى لأذكر كيف قلقت على ســيلقيا . لم استطع أن أعرف الحقيقة من ميك الصغير ، وظننت آنها قاصر وهذا ما أقلقنى بعض الشيء، فحاولت أن أحادثه فى ذلك ولكنه كان يظن بى على الدوام نوعا من الغباء ، هذا صحيح كما تعلمون . أوه ، لم آكن آكترث لهــذا بل كنت أحبــه . (لچين) الحق أنه لم يأخــذنى على محمل الجــد ، فهمهمت وقلت له آخر الأمر : « حسنا ، اسمع يا ولدى ، من الواضح اننى لست بحاجة الى أن أوصيك بأن تكون حذرا». فلم يفعــل الا أن ابتسم فشعرت فجــأة بأننى كقسيس منهار . ولذا قلت له : « حسنا ، على كل حال انت تعلــم ما هو سن الرضا ، أليس كذلك ؟ » فجلس هناك بهذه الابتسامة المريعة على وجهه وقال « ستة عشر » .

جســين : الى أين ستأخذ بيلى غدا ؟

آرثى : أظن أننى مضطــر للعودة الى برايتــون حيث أصير من جوابى الشاطىء .

فرانك : (لجين) هل لديك اسبرين ؟ يبدو أنه لا يوجد شيء منه هنا .

آرشى : ادلنز ... هذا هو المكان . فى أقصى برايتون .

جين : (تعطى الاسبرين لفرانك) ألا تعلم ماذا يحاول أن يفعل ؟

آرشى : يمكنك أن تسكر سكرة طيبة من بيرة السايدر عندهم ببضع بنسات .

فرانك : لماذا لا تتركهم فى حالهم ؟

آرشى : لم أذقه منذ سنين . بكم كان ؟

جين : انه يفكر فى تطليقها . انه يفكر فى أن يطلق فوبيا . لقد رأيتها ... تلك البنت التى يريد أن يتزوجها . انه مجنون ، هذا هو فى حقيقته . ما الذى سيحدث لها ؟ (تومىء الى الدور الأعلى).

فرانك : ما الذى سيحدث لكل منا ، اسمعى يا جين. يا حبيبتى ... يا حبيبة قلبى : انك لن تستطيعى تغيير أى انسان ...

جين : هل رأيتها ؟ لقد ضبطتهما معا أمس فى الروكليف، وحققت النظر منها ، انها عذراء محترفة .

آرشى : انى أتساءل كيف تكون الآن . (لبيـــلى) كم كان ثمنها ؟

فرانك : الأفضل أن آخذ هذه (الاسبرين) اليها

بيـــلى : ما هى ؟

آرشى : بيرة السايدر أيها المخرف العجوز .

بيسلى : وكيف لى بحق الجحيم اللعين أن أعرف ؟ انى لم أشرب هذا الشىء أبدا .

آرشى : نعم ان بها بعض الحموضة على ما أظن .

بيسلى : حوالى بنس على ما أعتقد ، بنس للكوز .

آرشى : أتوقع أن يكون حوالى بلن الآن .. (ســـكتة قصيرة) ويمكن شرب البيرة كذلك .

جسين : (لآرشى) انهـــا جميلة ، انهـــا مدللة ، انهـــا مغرورة ، وانها غبية . وربما كان أبواها غبيين . ولا بد أن يكونا كذلك . لا بد أن يكونا غبيين اذ أنجباها ... من لا شىء من طراز سنة ١٩٥٧ .

آرشى : هذا صحيح .

جسين : كم عمرها ؟

آرشي : عشرون سنة .

جـين : عشرون . انهما لغبيان على ما أعتقد وسيسمحان لها حتى بالزواج منك .

آرشي : وللعلم ، أعتقد انى لم أصادف سوى امرأة واحدة ذات عاطفة قوية ، من النوع الذى أسميه ذا عاطفة قوية حقا . ولقد تزوجتُ زواجا سعيدا . كان اسمها ايفى .

جـين : أعتقد انك تفكر فى حملهم على أن يقدموا لك بعض المال أيضا .

آرشي : كانت هذه هى الفكرة .

جـين : انك ستحملها على أن تضع حلقة فى أنفك وتوهم نفسك بأنك لا تحس بها لأنه لم يعد يهمك شيء . كما لا يهمك أى انسان . تظن أنك ان لم تستطع أن تنالها فلن يستطيع ذلك غيرك !! وماذا عن فوبيا ؟

آرشي : ايفى وليامز ، كان هذا هو اسمها . مسز ايفى وليامز . مسز ايفى وليامز .

بيلى : حسنا ، أنا ذاهب . من الذى سنقابله : روبنز ؟

بيسلى : كلاين .

بيسلى : شارلى كلاين . شارلى كلاين العجوز . كنت فى أول فرقة متجولة شكلها فى حياته ، أتعلم هذا ؟

آرشى : فى الثانية عشرة والنصف .

بيسلى : كان أصغر من چينى هـــذه . وجعلته عضوا فى النادى الرياضى الوطنى . أنا الذى أدخلته .

آرشى : انه ابن حرام قوى .

بيسلى : أوه : شارلى يجب أن يكون على ما يرام . أنا الذى جعلته يوقع تعاقدا مع ادى درامر . الفنان العظيم ادى . ظل يكسب ألفا كل أسبوع لمدة خمس وعشرين سنة دون أن يتغـــير . انه ولد طيب . هو من ذلك الطراز المعتـــدل . لم يكن واحدا منا نحن القدامى الحقيقيين ، كما أنه لم يكن وحدا من أولئك المحدثين الذين يقدمون أعاجيب الخمس الدقائق فى الميكروفون . ليست عندهم الشخصية الحقيقيـــة الآن . كان ادى ذا أسلوب دائما ولم تكن هناك أى شبهة أذى فى أى شىء يفعله . كان لنا جميعا أسلوبنا الخاص، وأغانينا الخاصة ... وكنا جميعا انجليز . والأهم

من هــذا اننا كنا نتكلم الانجليزية . كان الأمر مختلفا . كنا جميعا نعلم ما هى القواعــد . كنا نعلم ما هى القواعــد وحتى لو قضينــا نصف أوقاتنا فى جعل الناس تضحك منها فاننــا لم نقترح أبدا بصفة جدية أن يحاول أى انسان خرقهــا . الممثل الحق هو رجــل حق ، وكل ما يحتاجه هو قطعــة من القماش تدلى وراءه وهو قادر بعد ذلك على أن يجعــل المشاهدين ملكا له لمدة نصف ساعة . انه يشبه عامة الناس وانما هو أكثر شــبها بهــم من أنفسهم ، اذا فهمتنى . حسنا ، ما زال ادى هناك على مايرام. (لجين) كنت دائما أقــول له : بل كنا دائمــا نقول : « ادى ... كن طيبا على الدوام مع من تلتقى بهم فى صعودك لأنك قد تعود فتلتقى بهم فى هبوطك » . ادى العجوز ، انه واحــد من العظماء الحقيقيين كما ينبغى أن أقول . ينبغى أن أقول بل لعله الأخير . نعم ، ينبغى أن أقول لعله الأخير .

(يخرج) .

جــين : ماذا أنت فاعل ، ماذا ستفعل به ؟ لست تنوى أن تعيده مرة أخرى الى المهنة ؟

آرشى : روبنزوكلاين الساعة الثانية عشرة والنصف من صباح غد ...

جسين : انك ستقتل هذا الرجل الشيخ لمجرد انقاذ فرقتك الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ...

آرشى : ليس لمجرد انقاذ فرقتى الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ، بل لانقاذ أبيك المهلهل الذى لاخير فيه من دخول السجن . قد لا يقبل الناس على رؤية آرشى ولكن لعلهم ما زالوا يتذكرون بيلى رايس . انه أمر يستحق التجربة على كل حال .

جسين : أأنت مقدم على هدم هذا أيضا ؟ انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى كرامة أو احترام لنفسه ، انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى شىء على الاطلاق ، وأنت مقدم على قتله . ستأخذه الى ... من ذلك ؟ .. روبنز وكلاين غدا فى الثانية عشرة والنصف ، وستجعل مستر روبنز ومستر كلاين يوقعان شهادة وفاته . ما الذى تحمل نفسك على الاقدام عليه الآن ؟ كيف استطعت بالله أن تقنعه بأن يفعل شيئا كهذا ؟ ما الذى جرى له ؟ ما الذى أصاب غريزة المحافظة على الذات عنده ؟

آرشى : انه يحس بأنه مدين لى بهذا .

جين : مدين لك !! مدين لك !! بيلى ليس مدينا لك ولا لأى انسان بأى شىء .

آرشى : انظرى ، قبل أن تشغلى نفسك بمحاضرتى عن النظافة الداخلية ذهب بيلى وفعل شيئا ما . لقد ذهب فقابل والدى صديقتى الفتاة ، العذراء المحترفة التى رأيتهـا فى الروكليف . ذهب وقال لهم انى رجـل متزوج ذو ثلاثة أولاد كبـار . ثلاثة معترف بهم ... عـلى أى حال . غير أنى لا أظن بيلى العجـوز كان فى حاجـة الى أن يذكر بقيتهم .

جين : وهل أفسد المسألة ؟

آرشى : أوه ، نعم ... نهائيا . كما ترين لم أكن قد ذكرت لهم شيئا عن ... عن فوبيا ولا عنكم جميعا .

جين : لا ، أعتقد أنك ما كنت لتقول .

آرشى : واذن فأنت ترين أنك لم تكونى مخطئة يا جينى يا حبيبتى . فى شأن فوبيـا عـلى أى حال ... وآرشى العجوز سوف لا يظفر بعيشـه آخـر الأمر .

(١١)

آرشى : سيداتى وسادتى . بيلى رايس لن يظهر الليلة . بيلى رايس لن يظهر مرة أخرى . كنت أتمنى أن أغنى أغنيــة له ... فى مكانه . أغنيــة وداع ، ولكنى نسوء الحظ لا أستطيع . ولن يستطيع أحد . لن يستطيع واحد منا على كل حال .

(يخرج) .

(الستار الخفيف الامامى . موكب جنازة من آرشى وفوبيــا وجين وفرانك وجراهام والاخ بيل . يجتمعون حول نعش فى منتصف المسرح مسجى بالعلم البريطانى وعليه قبعة بيلى وعصاه وقفازه . فى الخلفية لقطــات من الأغانى القديمة والانغام ودقة البانجو) .

تلاشى الى :

(١٢)

(الى اليسار فى المقدمة ضوء يغمر آرشى والاخ بيل . الى اليمين فى المقدمة ضوء على جين وجراهام . الاخ بيل يبدو كمحام بارز ناجح جــدا ، كمــا هو الواقع . جراهام دود قــد يكون مثله بعد ثلاثين سنة بشرط أن يكون ناجحا . هناك كثير من هؤلاء . . .

حسنو الهنـــدام ، مطمئنون ، نالوا قسطا وافيـــا من التعليم ، كفسايتهم العاطفيـــة والعقلية محدودة الى درجة امكان اطراحها من الناحية العملية . لديهم عجز ساحق عن أن يلائموا أنفسهم مع أى انسان فى ظروف تختلف حتى بأقل القليل مع ظروفهم الخاصة. جراهام دود لا يحتاج الى وصف كثير . اذا كنت لا تستطيع أن تتميزه فمرجع ذلك الى سبب واحد . المحاورتان التاليتان مستقلتان ولكنهما تجريان معـــا) .

جراهام : بكل اخلاص يا جين ، أنا لا أقصد أن أكون فظا . أعنى أن من المظاظة أن آتى فأقولها . ولكنى لا أستطيع أن أرى ما الذى يمكن أن يكون صفة مشتركة بينك وبين أى منهم .

جـــين : لا تستطيع ....

جراهام : نعم أنهم أسرتك ، وما الى ذلك ، ولـــكن فى آخـــر الأمر تجىء نقطـــة ، تجىء نقطـــة فى الأمور ...

آرشى : لكم كان شيخا طيبا . حقا لقد كان . أتدرى من قال هذا ؟ شارلى كلاين . شـــارلى كلاين قال ان بيلى الشـــيخ كان أظرف عجـــوز فى المهنة .

جراهام : ... فقد لا يبقى عليك أى مسئولية للناس .

آرشى : ومازال آرشى ممثلا من الدرجة الأولى . مازال ممثلا من الدرجة الأولى .

جراهام : ... انها بيتك وقد نشأت فيها ، ولكن هناك أشياء أفضل وأجدر بالاعتبار فى الحياة .

آرشى : لقد كان واحدا من العظماء ، الحقيقيين .

جين : آسفة يا جراهام . انى باقية مع فوبيا . قلت لك أننى اتخذت قرارى فى الواقع قبل أن أسافر . لا أستطيع أن أتزوجك ، وما عدت راغبة فى ذلك . وعلى أى حال فان على أن أبقى هنا . فالآن وقد مات بيلى أصبحت فوبيا فى حاجة الى من يبقى بجانبها . وفرانك راحل الى كندا فى ظرف أسبوعين ....

آرشى : جين تعتقد انى قتلته .

الأخ بيل : انك لم تقتله يا آرشى ، فالناس لا يقتلون بهذه السهولة . لا أظن هذا .

جين : نحن نعيش بأسلوبين مختلفين . أنت وأنا لا نتنفس حتى بنفس الطريقة .

الاخ بيل : اسمع يا آرشى ، هـذه آخـر فرصة أمامك . أصبح من المحتم أن تكون فى كندا . انت وفرانك وفوبيا ، تستطيعون جميعا أن تسافروا معا . لقد حجزت كل تذاكر السـفر لكم وهى معى فى جيبى . وهذه تذكرتك . فى وسعكم أن تذهبوا وتبدأوا حياة جديدة أنتم الثلاثة .

جراهام : أوه ، ما هـذا الا كلام فارغ . أنت لست مختلفة عنى . لقـد كنت تحبيننى ، أنت قلت هـذا . ولقـد استمتعنا بأنفسـنا معاً ، وفى استطاعتنا أن نصنع حياة طيبة ، فأمامى مستقبل محترم موطأ ، وسيكون لنا كل ما نحتـاجه ، عودى معى يا چين .

آرشى : انك لا تستطيع الحصـول على بيرة باص فى تورنتو . لقد جربت ذلك .

چـين : ألم تركب مرة قطار سكة حديد هنا ، قطارا من برمنجهام الى وست هارتلبول ؟ أو ذهبت من ما نشستر الى وارنجتون أو ودنس ، ثم خرجت ومشيت فى الشارع وعلى أحد الجانبين قد ترى مصنعا كيمائيا وعلى الجانب الآخر حظائر بضائع السكة الحديد ، وبعض الأطفـال يلعبون فى

الشارع . قد تصل الى امرأة واقفة على عتبة باب بيتها . انها ليست عتبة باب فى الواقع لأنك تستطيع أن تصل رأسا من الشارع الى حجرتها الأماميه . ماذا يمكنك أن تقوله لها ؟ أى نبأ حق ، أى رسالة تستطيع أن تحملها اليها ؟ هل تقول لها : « سيدتى ، هل تعلمين أن المسيح مات على الصليب من أجلك ؟ » .

الأخ بيل : هذه التذاكر لك يا آرشى فخذها . سأدفع كل ديونك ، وسأسوى كل شىء ، واستوثق من أنه لن يحدث شىء .

جسين : وعندئذ تنظر المرأة اليك وتقول : « أوه نعم ، لقد سمعت كل ما قيل عن هذا » .

آرشى : ما الذى يحدث اذا لم أسافر ؟

الأخ بيل : لن أفعل شيئا لك لتبقى هنا يا آرشى . لا شىء بعد ذلك . كل ما فى الأمر اننى أخشى أن سيكون عليك أن تحتمل النتائج . فاما كندا واما السجن .

آرشى : أتعلم أننى اعتقدت على الدوام أن لابد من أن أدخل السجن . وانى لاظن أنه لابد أن يكون

أمرا مسليا . فمن المؤكد انى سأقابل شخصا أعرفه . أتعرف ماذا كانت تقوله صاحبة البيت فى فولهام عنك ؟ كان من عادتها أن تقول : « انه يبدو كما لو كان محافظ المدينة » . كانت دائما تقولها ... دون نسيان .

جراهام : كل ميسر لما خلق له . أليس هـذا ما كان يقوله أبوك ؟

آرشى : انك لا تستطيع أن تحصل على أى شىء من مكتب العمل هـذا على كل حال . يجب أن يكون عندهم فى هذا المكان ضجة أكثر من أى مدينة أخرى فى انجلترا . أوه ، حسنا شكرا لك على أى حال ، حفلتان أخريان فقط ، مع أن الأمر يدعو للرثاء ... كان بودى أن ، بودى أن أسجل الواحدة والعشرين ضد محصل ضريبة الدخل . لن أتمكن من بلوغ الحادية والعشرين الآن . لقد كان شيئا مفرحا أن تحصل على مفتاح الباب بطريقة ما .

جسين : وها نحن ، نحن وحيدون فى هذا الكون ، وكأنما لا اله هنا لك ، لكأنما بدأ الأمر كله بشىء بسيط بساطة شعاع الشمس اذ يضرب فى قطعة من

الصخر . وها نحن أولاء لا نملك الا أنفسنا .
ومع هذا فان علينا أن نمضى بها . نحن لانملك
الا أنفسنا .

الأخ بيل : أنا آسف يا آرشى ، ولـــكنى قـــد تخليت عن
معاولة الفهم .

(يتلاشى الضـــوء) .

(١٣)

(روك آندرول . تابلو عراة وراء ستار
الفصل الأول الخفيف . بريتانيا . بعد هذا
موسيقى آرشى رايس، الواحدة والوحيدة ،
تقـــاطع البروجرام . يظلم المسرح . ضوء
كاشف على الزاوية المناسبة ويدخل آرشى .
يغنى بعض فواصل من « نحن جميعا فداء
العجوز الطيبـــة رقم ١ ») .

آرشى : « نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد
يا انجلترا العجوز الطيبة ، أنت لى كقدح الشاى
ولكننى لا أريد مساواة باهتة .
لا تدعوا مشاعركم تتوزع
ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن .
سنحافظ عليك ونرفعك أيها العلم .

أوه ، فرقم واحد هي الواحد الأوحد عندى
نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد .

لقد جئت الآن لأخبركم عن الزوجة . لقد عادت الى زوجها . عادت رأسا . لا تصفقوا بشـدة فنحن جميعا فى بناء قديم جدا ، نعم قديم جدا . قديم . وماذا عن هذه . وماذا عنها ، آه ... هذه السيدة التى تلبس الخوذة . أظن أنها تتمـايل قليلا ، اذا سألتمونى . انها تريد شيئا من لحم البقر يوضع فيها ... لحم البقر المحمـر الذى كان لانجلترا القديمـة . لا ، لا يوجـد من يسألنى ، لا بأس . زوج من البيض المقلو اللذيذ على كل حال . انها فتاة طيبة مع ذلك ... فتاة طيبة . مخلصة لشارلى هنـا ... أليس كذلك يا شارلى ؟ (لقائد الفرقة) قابلته فى باب دوار ومازالا يدوران معا منذ ذلك الحين . انى أحير نفسى ، تعلمون ذلك ، ألا تعلمون ؟ انى أحير نفسى هنـا . عرايا ، هـــذا ما يسمونهن به يا سيدتى ، عرايا .

ويحى ان عليها من الملابس أكثر مما على . انه كثير من الوقار ، هذا كل ما هنالك . كثير من

الوفار . أوه ، لقد أضفت سطرا هنا . لابأس . لايهم . لقد كان لى بعض السقطات فى حياتى . بالشرف كان لى . أتتم تعتقـدون اننى كنت جـذابا جنسـيا فى منظرى ، أليس كذلك ؟ لا بالشرف ، لا تعتقـدون . اتعتقـدين أنت يا سـيدتى . انى أعتمد دائمـا عـلى أنكم ستصبحون أقوى بعدها . (يغنى) « قولى ان فطيرتك لذيذة ، ولكنها لا تقارن بفطيرتى » . يوجد فى هذا الجانب رجل يلبس قناعا، تعرفون ذلك ، ألا تعرفونه ؟ انه ، انه واقف هنـاك ، أستطيع أن أراه ، لا بد أنه محصـل ضريبـة الدخل . ان الحياة مع هذا عجيبة،أليس كذلك؟ انها لكذلك ... الحيـاة عجيبة . انهـا كمص الحلوى وهى ملفوفـة بالورق . أوه حسنا ، اننا جميعا نعمل فى صناعة الأسـمدة الآن على ما أعتقد . حسنا أنا أفضل أن أتعاطى زجاجـة بيرة فى أى يوم . هـذا ما أفضـله . انكـم لا تصدقوننى . ولكنى أفضـل ذلك . تظنون اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ هيـا قولوهـا ، تظنون اننى انتهيت . لقد انتهيت . تظنون اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لقد انتهيت .

ما الذى جرى ؟ أتشعر بالبرد انت [illegible] ؟ قبل أن أنتهى بالفعل سيداتى سادتى ، أحب فقــط أن أحكى لكم حكاية صغيرة ، حكاية صغيرة ، هذه الحكاية عن رجل . مجرد رجــل صــغير عادى مثلكم ومثلى . صحا من نومه ذات يوم فوجد نفسه فى الجنة . فتطلع فرأى رجلا واقفا بجانبه ، واتضح أن هذا الرجل قديس أو شىء من هذا القبيل ، على كل حال فقد كان عضوا فى لجنة الاســتقبال . وقال القــديس للرجل : « حسنا ، انت الآن فى الجنة » . فقال الرجل : « أهــذا صحيح ؟ » فقال القــديس « نعم ، وأكثر من هــذا فقــد كسبت لنفسك السعادة الدائمة » فقــال الرجل « أحقــا ؟ » فأجاب القديس « بكل تأكيد . أوه انك فى خير حال. ألا تسمع الجماهــير ، كل واحــد يغنى ، كل واحد مسرور ، ماذا تقول يا ولدى ؟ » .

وعندئذ أجال الرجل الصغــير بصره فيما حوله ورأى كل أهل الأرض مصطفين ومن ورائهــم الكون ، فقال للقديس « حسنا ، هل أستطيع أن أصعد الى حيث تقف لألقى نظرة شاملة ؟ » فقال القديس « طبعا تستطيع ذلك يا ولدى »

ثم أفسح له مكانا . فوقف الرجل الصغير حيث كان القديس وتأمل المنظر الذى أمامه ، فى كل جيوش السماء وما يليهـا . وقال له القـديس «ان كل عجائب الأبدية ومباهجها من حولك». فقال «أتعنى أن هذه هى الأبدية واننى فى الجنة؟» قال « هذا صحيح يا ولدى ، فماذا تقول ؟ » فأعاد الرجل النظر حوله قليـلا فقال القديس « حسنا يا ولدى ؟ » فأجاب « حسنا ، لطالمـا تساءلت فيما عسى أن أقول اذا حدث هـذا لى يوما ما . لم أستطع أن أتصور هذا من ناحيـة ما » . فتبسم القـديس فى عطف وقال له مرة أخرى « وماذا تقـول اذن يا ولدى ؟ » فقال الرجل الصغير «شىء واحد أستطيع أن أقوله» ثم قال « حسنا » فشعر القديس كأن يدا هائلة لطمتـه على وجهـه ، وتوقفت الحشـود عن الغناء ، وخبأ الملائكة وجوههم ، وخشعت كل الأصوات فى الجنة لحظة من لحظات الأبدية . واستعصى الكلام على القديس لحظة ، ثم طوق الرجل الصغير بذراعيه وقبله ، وقال له « انى أحبك يا ولدى من كل روحى ، وسأحبك على الدوام . لقـد أقمت على انتظار تلك الكلمة

منذ حضرت الى هنا». انه هناك بقناعه الصغير، أستطيع أن أراه . أوه حسنا . عندى فرصة . أليس كذلك ؟

(يرتفع الستار عن مسرح مظلم عار . تبدأ الموسيقى هادئة . ويقف آرشى رايس على المسرح فى هـــالة صغيرة مستديرة من الضوء ويبـــدأ اغنيته فى رقة) .

لمـــاذا يجب أن أحمل الهم
لمـــاذا أتركه يمسنى .
لمـــاذا لا أجلس وأبكى
لأتركه يمر من فوقى ؟

(يبـــدأ فى التعثر قليلا) .

لمـــاذا يجب ....
لمـــاذا يجب أن أتركه يتغلب على ...
ما فائدة اليأس ؟

(يتوقف ويحملق امامـــه . الموســـيقى تستمر ثم يستأنف هو) .

لو رأوك وأنت مهموم
فسوف يحتقروك .

(يحملق ثم يستمر) .

ولذا فلماذا ، أوه ، لـــاذا أشغل نفسى
بحمل الهم .

(تظهر فوبيا من ناحية اليسار تحمـــل
معطف مطر وقبعــــة) .

آرشى : لـــاذا أحمل الهم
لـــاذا أتركه يمسنى
لـــاذا لا ....

(يتوقف . تستمر الموسيقى . ويسير هو
نحو فوبيا التى تساعده على ارتداء معطفه
وتعطيه قبعتـــه . يرتد ثم يعود ثانيـــة الى
دائرة الضـــوء) .

لقـــد كنتم متفرجين طيبـــين . طيبين جـــدا .
متفرجين طيبين جدا . فلتخبرونى أين تشتغلون
مساء غد ... وسأحضر لرؤيتكم .

(يمشى نحو مؤخرة المسرح مع فوبيا .
الضـــوء مسلط على المكان الذى كان يقف
فيـــه .

(آرشى ، يستمر الأوكســـترا فى عزف
« لـــاذا أحمل الهم » وفجاة تنطفىء هالة
النـــور الصغيرة ، ويصبح المسرح عاريـــا
مظلمـــــا . ذهب آرشى رايس ، ولم تبق
الا الموســـيقى .

ســـتار

النهـــاية

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٩ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ـ الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	ـ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ـ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ـ مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	ـ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ـ الغربان	هنرى بك
٧	ـ اليكترا	جان جيرودو
٨	ـ توركاريه	ر . لوساج
٩	ـ الدائرة	سمرست موم
١٠	ـ شاترتون	الفرد ديفينى
١١	ـ الأم	كارل تشابك
١٢	ـ اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	ـ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين اونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا ...	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعه	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرسمت موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتيوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بيرجينت	جون جلزورذى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزوردى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجنون سبنج
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمسة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرتر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايملسينج
٦٠	ميغافون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجنون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبه المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

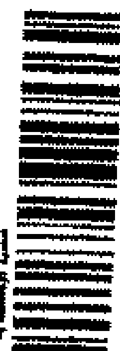
الشركة المصرية للطباعة
حسن مدكور وأولاده
٣٠ شـارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
تليفون ٥١٥٧١ ــ ٤٨٩٢١

روائع المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :
مكتبة الخانجي - القاهرة ، ومكتبة المثنى - بغداد
ودار العلم للملايين - بيروت ، ومكتبة المنار - تونس
ومكتبة الرشاد - الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي با



الشركة المصرية للطباعة
يناير ١٩٦٦

الثمن ١٠ قروش